

١٦٣

تاريخ المصريين

# مصر والحملة الفرنسية

المتنار  
محمد عبد العشماوى



المهيلة المصرية  
العامة للكتاب



تاريخ المصريين

( ١٦٣ )

---

## ● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الاداء

د. سمير سرور

رئيس التحرير

د. عبد الله

مدير التحرير

محمود

تحت إشراف

الهيئة المصرية العامة للكتاب



# مصر والحملة الفرنسية

المستشار  
محمد سعيد العشماوى



المكتبة الوطنية المصرية للكتاب

١٩٩٩

الإشراف الفني

---

محمود الجـ

## نقد

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب عن مصر والحملة الفرنسية ، الذي كتبه المستشار محمد سعيد العشماوى . وهو يحمل رؤية تاريخية للثورة الفرنسية أكثر مما يحمل تاريخا للحملة الفرنسية . فالمستشار محمد سعيد العشماوى مفكر مصرى وليس مؤرخا ، وبالتالي فلا ينبغي للقارئ أن يتوقع قراءة كتاب تاريخ مما تعود أن يقرأه ، بمعنى : تحقيق تاريخي لأحداث الحملة الفرنسية على مصر - وإنما سيقرا رؤية مفكر مصرى وتأملاته للحملة الفرنسية . وهو منهج مختلف للكتابة ، ولكن له حلالته وأهميته .

والكتاب على هذا النحو يتعرض لجوانب وحوادث مختلفة وقعت فى مصر إبان الحملة الفرنسية ، من واقع ما دونه شيخ المؤرخين عبد الرحمن الجبرتي ( الذى يعتبر عمده الرئيسية فى هذا الكتاب ) تكون صورة للحياة الاجتماعية ، والحضارية ، والإدارية ، قبل وأثناء وفى أعقاب الحملة الفرنسية ، مع تحليل ممتاز يربط الماضى بالحاضر ، ويكشف عن السلوكيات المصرية الحالية وجذورها البعيدة الضاربة فى التاريخ .

ويقدم الكتاب فى البداية عرضا لمصر قبل الحملة الفرنسية ، والوضع العام فيها ، ووصول الفرنسيين الى القاهرة بعد هزيمة المماليك فى موقعة امبابة ، ثم الترتيبات الإدارية والإنشاءات العلمية والحضارية التى أسسها الفرنسيون فى مصر . ويتحدث عن ثورة

المصريين على الفرنسيين ، ومحاكمة سليمان الحلبي قاتل الجنا  
كليبر قائد الجيش الفرنسى بعد نابليون . كما يتابع الخط  
الفرنسى للمصريين منذ بدأت الحملة الفرنسية حتى انتهائ  
ويتحدث عما أسماه بالثقافة السمجية أو الثقافة الشفهية ،  
تعتقد بأن القول مساو للعمل ، وأن الكلام بديل عن الفعل !  
الثقافة التى ورثها المصريون فى الوقت الحاضر من العصر العثماني  
مما استخلصه من الجبرتي ، والكتاب بذلك يقدم تحليلا  
للمجتمع المصرى بنظرة مفكر . وهو جدير بالقراءة .

## والله الموفق ..

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان



## مقدمة

فى شهر يناير ١٩٨٦ توجهت الى باريس ، تلبية لدعوة مشتركة فيما بين جامعة السوربون ومعهد الشؤون الدولية (Ifri) ، لالقاء محاضرة فى كل منهما . والى جانب المحاضرتين تم ترتيب جدول حافل بالزيارات والمقابلات فى الكوليج دى فرانسس (College du France) ، ووزارة الخارجية ، ووزارة العدل ، والمجلس التشريعى ، وبعض المحاكم ، وكبار الشخصيات الفكرية والعامة . هذا فضلا عن الزيارات السياحية والأنشطة الاجتماعية .

فى يوم ١٠ يناير ، كان الترتيب أن أبدأ بزيارة رئيس محكمة النقض ، ثم أحضر الجمعية العامة لمستشارى محكمة استئناف باريس ، ثم أتناول طعام الغداء مع وزير العدل ورئيس مجلس الدولة .

فى العاشرة صباحا ، توجهت بى السكرتيرة المسئولة عن مرافقتى وتنفيذ البرامج المعدة لى ، الى

مكتب رئيس محكمة النقض الفرنسية ، فى مبنى دار  
العدالة الفخم . وكان الرئيس هى السيدة روز . كما  
هو المقرر فى هذه الزيارات ، كان لدى السيدة روز  
بيان عن سيرة حياتى ، وعن عملى ، وعن اتجاهاتى  
الفكرية ، وعن مؤلفاتى ، هو ما يسمى باللغة  
اللاتينية : *Curriculum Vitae* ، ويرمز اليه اختصارا  
بحرفى C.V .

كانت السيدة روز ودودة ، وشغوفة بالموضوعات  
الدينية والفكرية التى اكتب فيها ، فدار بيننا حوار  
طويل ، عميق ومتشعب . عندما عرجنا على العمل  
القضائى طلبت أن أطلع على جداول المحكمة ، والنظام  
القضائى والادارى للعمل بها . وكانت دهشتى واضحة  
عندما تبينت أن النظام القضائى والادارى فى المحاكم  
المصرية مأخوذ بالنص من النظام الفرنسى : وأن  
جداولها ، بكل بياناتها ، ترجمة حرفية لجداول المحاكم  
الفرنسية وبياناتها .

كان هذا التماثل ، بل والتطابق ، بين النظام  
القضائى الفرنسى ، والنظام القضائى المصرى مثير  
حديث طويل بيننا ، داخلته تعليقات مهمة . وعلى  
الرغم من أن المدة المحددة للزيارة كانت ساعة واحدة ،

فقد استطالت حتى اقتربت من ساعتين . نظرت السيدة روز الى ساعتها ثم قالت لى : أنت مدعو لحضور الجمعية العامة لمستشارى محكمة استئناف باريس ، وهى تنعقد فى قاعة واسعة بالدور الأرضى من هذا المبنى ( دار العدالة ) فهل لديك مانع أن نتوجه سويا الى قاعة الاجتماع ، لأننى مدعوة كذلك بحكم منصبى ، وقد آزف الوقت وحان موعد وجودنا بالقاعة ؟ رحبت بذلك وسرنا سويا عبر الممرات والأبهاء والسلام، والى جوارى سكرتيرتى الفرنسية النشطة . عند باب قاعة الاجتماع استأذنت السكرتيرة فى أن تنتظرنى بقباعة خاصة يجلس فيها المرافقون الذين ليس لهم حق حضور الاجتماع . دخلت الى القاعة مع السيدة روز ، التى سارت حتى الصف الأول ، فوجدت وزير العدل ، فعرفتنا ببعضنا ، ثم جلسنا جميعا ، وقد جعلنا مجلسا قيما بينهما ، الى يمينى رئيس محكمة النقض والى يسارى وزير العدل . حان موعد انعقاد الجمعية العامة واكتمل حضور المدعوين ، فأغلق الحجاب أبواب القاعة ، وقد كانوا يرتدون أزياء رسمية يتسلى من حزام بها فى الوسط سيف ، ويضعون فى أيديهم قفازات بيضاء . وهو ننس الزى ، والنظام ، الذى كان يرتديه ويتبعه الحجاب فى المحاكم العليا بمصر حتى

أوائل الخمسينيات ، فيما عدا غطاء الرأس الذى كان  
 طربوشا فى مصر ، وهو قبعة خاصة فى فرنسا •

بعد دقائق دخل المستشارون الى القاعة ، فى  
 مقدمتهم رئيس المحكمة يتبعه الآخرون بترتيب  
 أقدمياتهم ، وهم جميعا يرتدون أروابا حمراء لها حول  
 الرقبة ياقة عريضة من الفرو الأبيض ، وعددهم اثنى  
 وعشرون مستشارا ، يكونون سبع دوائر ، وللمرئيس  
 أعمال قضائية وإدارية محددة • جلسوا جميعا فى  
 وضع نصف الدائرة على المنصة التى تعلو مقاعد  
 المدعويين •لقى رئيس المحكمة كلمة حيا فيها الحضور،  
 وخصنى بالتحية ، ثم تكلم عن عمل المحكمة وما أنجزته  
 فى العام السابق ، وأعلن نظام العمل الذى اتفق عليه  
 أعضاء الجمعية العامة • من التقاليد هناك أن يلقى  
 أحد المستشارين بحثا قانونيا فى مسألة دقيقة وحالة  
 ( أى ثور فى دوائر القانون وخلقات المجتمع ) فى  
 مدة ١٥ دقيقة • وقف المستشار الذى عهد اليه بالقاء  
 البحث ، وألقاه بنبرة علمية ، ثم وزعت علينا صور  
 منه ، وكان عن التعديلات المطلوب ادخالها على قانون  
 اجارة الأماكن ، ليصبح أكثر ملاءمة للتطورات  
 الاجتماعية والاقتصادية الجديدة •

قبل القاء هذه المحاضرة مال على وزير العدل  
وسألني اذا ما كنت أرغب في القاء كلمة ، كرجل  
قضاء مصرى يحضر ، لأول مرة ، انعقاد الجمعية العامة  
لمستشارى محكمة استئناف باريس . كان فى سؤاله  
معنى الايحاء لى بالموافقة ، فوافقت . قام الوزير من  
مكانه وتقدم الى رئيس محكمة الاستئناف الذى كان  
يجلس على المنصة قبالتنا ، وهمس اليه بما اتفقنا  
عليه . بعد أن انتهت محاضرة المستشار الفرنسى  
قدمنى رئيس المحكمة باسمى وصفتى القضائية  
واتجاهاتى الفكرية ، وأشار الى مؤلفاتى وخص منها  
بالذكر كتابى أصول الشريعة وحصاد العقل ، « وكنت  
آنذاك قد كتبت أغلب فصول كتابى الاسلام السياسى ،  
ولم يكن قد نشر بعد ، وهو الكتاب الذى ترجم الى  
الفرنسية تحت عنوان موح وقوى التعبير :

#### **L'Islamisme Contre L'Islam**

أى : الأيديولوجيا ( الاسلامية ) ضد الاسلام  
( العقيدة ) .

وقفت مكانى وارتجلت كلمة كان نص فقراتها  
الأخيرة ما يلى :

« حينما وجهت خطابى اليكم ، فقد كان ذلك  
بوصفى ابن مصر ، ونبت الانسانية ، ومبجى الكونية .

وهو حال يؤكد نسبتي الى روح مصر ، والى كل الانسانية ، والى ذات الكونية ، فلا يجمد مفاهيمي ولا يحتجز أحكامي في نطاق العصبية أو مجال القبليّة أو مدار المحليّة ، تلك التي تتطرق الى التهويل فيما يتصل بالفرد وبلده ، والى التهوين مما يتعلق بالغير ووطنه . ان ذاتي ، في جوهرها ومظهرها ، تستوى على الحق والعدل والاستقامة ، حادى في ذلك قيم الحضارة المصرية القديمة ، وآية من القرآن الكريم ( كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ) سورة النساء ٤ : ١٣٥ .

لقد كان لفرنسا دور مهم وفعال في الكشف عن حضارة مصر القديمة ، لكنها بذلك كانت ترد الدين الى مصر التي أرست بحضارتها كل حضارة ، وأسست بعلومها كل العلوم ، وناسجت بقيمتها كل ضمير . وكان لفرنسا اثر واضح على النظام القضائي المصري ، وكأنها في ذلك تعيد الى مصر الفضل الذي قدمته حضارتها الى الانسانية كلها ، من خلال الحياة المستقيمة بالحق والعدل ، فكرة ومنهجاً ، مبدأ وتطبيقاً .

ولئن كان من قدرى أن أفيد من كشف حضارة مصر في أفكارى وكتاباتى ، وكان من حظى أن أعمل

فى نظام قضائى عليه بصفتها فرنسية ، فانى اكون من  
ثم تجسيدا حقيقيا للمعلم والتلميذ ، للعاطى والآخذ ،  
للأجداد والأحفاد .

فمشكرا لموقف جمع فى نقسى كل هذه المعانى  
البكريمة ، وطرح على روحى كل هذه الومضات  
السامية » .

انتهت أنجلسة ، وخرجنا من القاعة ، وقد حان  
موعد الغداء فقال لى وزير العدل : أظن أن لا مانع  
لديك من أن نتوجه معا فى سيارتى الى المطعم ؟ قلت :  
لا بأس فى ذلك . ثم التفت الى سكرتيرتى التى جاءتنى  
على التو ، فور أن شأهدتنى أغادر القاعة ، وطلبت منها  
أن تحضر بسيارتها الى المطعم فى الساعة الرابعة  
مساء ، لكن الوزير طلب أن أعفيها من ذلك على أن  
يترك لى سيارته تذهب بى أنى شئت .

توجهنا معا الى مطعم عريق وفاخر فى حى  
مونبارناس ( مطعم لا روتونته La Rotonde ) وعلى  
باب المطعم قابلسا رئيس مجلس الدولة فتعارفنا ،  
واتجهنا جميعا الى المائدة التى كانت قد حجزت لنا فى  
منطقة خاصة بالمطعم .

حضر رئيس النادل (Maitre d'hotel) وقدم اليها قوائم الطعام (Menu) ، فقرأت القائمة وانتظرت حتى يقع اختيار الوزير ورئيس مجلسي الدولة على ما يريدان . طلبا منى باحترام شديد أن أملى ما اخترته لطعامي من القائمة على رئيس النادل . ومع أنهما بذلك كانا يتبعان أصول اللياقة الاجتماعية (Etiquette) التي تجعل للضيف الأولية في ابداء طلباته الا أنني أتصور أنهما كانا كذلك يستبران غور الضيف ويعلمسان المعرفة به وتقييمه . ففي الخارج ، وفي أوروبا وأمريكا بالذات ، يوجد اتجاه للتعرف على الضيف من خزماته وسكناته ، من حديثه وألفاظه ، من طريقة الكلام وأسلوب التصرف . وهم لا يرون في الأسلوب الذي يتبعه الفرد في الكلام والطعام ، في نظام السلوك وأداب المائدة ، شكليات أو مظهريات ، لكنهم يرون في ذلك ما يفصح به الشكل عن التربية ، وما يكشف به المظهر عن التكوين ، وما يدل به التصرف عن التحضر .

طلبت من رئيس النادل سومون فيميه ( سيمك السالمون المدخن ) كطبق أول ، ثم فيليه بقرى بالشامبينيون كطبق رئيسي ( والشامبينيون هو نبات عش



الغراب ، واسمه بالانجليزية (Mashroom) . قال الوزير ورئيس مجلس الدولة معا : هذا هو نظام الطعام الكلاسيكي ( التقليدي ) وسوف نطلب مثلك تماما ، وتم الأمر بذلك . ثم قدم رئيس النذل لكل منا قائمة النبيذ ( وتتضمن انواعا مختلفة من النبيذ الأحمر والوردي والأبيض ) . أعدت له القائمة بهدوء ، وقلت : أنا لا أشرب النبيذ . قال المضيفان بأدب جم : وهل يضايقك أن نشرب نحن ، فمن طبيعتنا وتقاليدنا أن نشرب النبيذ مع الطعام ؟ قلت : أنا أعرف ذلك ولا اعتراض لي عليه . قالوا : اذن وماذا تشرب ؟ قلت : مياه معدنية غير غازية : افيان . قالوا : سوف نبدأ معك بالمياه المعدنية ونحن ناكل فواتح الشهية ( وهى أنواع من الزبد والجبن والكافيار ، والخبز الصغير المملح والمسمى Cariapé ( كاناييه ) ان وضع عليه الجبن أو الكافيار ، أو Sah ان كان بدونهما ، وينطقه البعض بالعربية ساليه والجمع ساليهات ) .

بدأ النذل يضعون أمامنا الأطباق ، بهدوء شديد ، وبنظام الموائد التقليدية . وطريقة الفرنسيين فى الطعام أن يأكلوا ببطء شديد ، ويطول الحديث الجاد والمتنوع أثناء ذلك ، يحدد مستواه ثقافة الجلساء .

بادرنى وزير العدل بسؤال قاله بالانجليزية :

How did you escape the distruction of your totalitarian culture ?

وتزجفته : كيف استطعت الافلات من الأثر التدميرى  
(على الشخصية) لثقافتكم الشمولية ؟ قلت : لقد سئلت  
هنا السؤال عدة مرات فى مصر وفى الولايات  
المتحدة ، وفى فرنسا . فما الذى تقصده تحديدا  
بالسؤال ؟ قال : انك تتكلم عن حضارة مصر القديمة  
باحترام واجلال ، وتحدث عن كشف الفرنسيين  
عن هذه الحضارة دون أن تشعر بخجل من ذلك أو عار ،  
وتشير الى الأثر الفرنسى على النظام القضائى المصرى  
بوضوح وصراحة لا مراعاة فيها ولا تهرب منها !! وهذا  
الذى شاهدناه فيك وسمعناه منك يختلف تماما عما  
يحدث من غالبية المصريين ، وخاصة فى الوقت الحالى ،  
اذ يعرضون عن حضارة مصر القديمة تماما ، ويرون  
أنها كفر ووثنية ، وأن فى حقيقة اكتشافها واعادة  
بعثها أثارا سيئة على الدين ، وبالذات على اليهودية  
والمسيحية والاسلام . كما أن هؤلاء الذين يجحدون  
فضل الحضارة المصرية القديمة ينكرون وجود بصمة  
فرنسية على النظام القضائى المصرى، وحتى ان اعترفوا  
بذلك مكرهين ، فانهم يدعون أن هذه البصمة أساءت

الى القوانين وأضرت بالمعدالة ولم تنفع المجتمع  
ولا خدمت الناس !!

قلت : هذا موضوع طويل ومركب . وأبدأ بأنى  
لا أعرف تماما كيف حدث أن أفلت من الأثر المدمر  
للثقافة الشمولية ، لكنى أتصور أن ذلك وقع نتيجة  
لطبيعتى الخاصة التى طفرت بها الكونية فى بواكير  
الشباب ، وساعد على ذلك اتجاهاتى المعرفية والثقافية  
والفنية ، فصيرتنى الى حالة خاصة يحيا فيها الانسان  
الكونى بالصدق ، ويكون صديقا فيما يفعل ويقول ؛  
واذ ذاك يعرف أن الكون كله هو بيته ، وأن الانسانية  
جمعاء هى أسرته ، وأن الحضارات المختلفة هى  
اجتهاداته التى يطرق بها أبواب الأبدية ، وأن الحيات  
المتباينة هى سعيه المتواصل لكى يطوى الكل فى ذاته .

عندما يصل الانسان الى حال الكونية ذاك ، فانه  
لا يشعر بأى خجل من قول الحقيقة ، بل يكون الخجل  
كل الخجل فى انكارها أو تحريفها ، ولا يلحق به عار  
أو تشينه المعرة من تقدير أعمال الغير ، لأنه يكون  
بكونيته أسمى وأرفع من الشعور بالدونية الذى يعتمل  
فى كيان من ترهقه ضآلته أمام أناس آخرين ، أو فى  
مواقف خاصة ، أو ازاء حقيقة تضع منه وتسفل به .

وإذا ما تجاوزنا هذه الوضعية الى حال الكونية ،  
فان عدم الاعتراف بالحقيقة قد يكون نتيجة لتصرف من  
يجعل أنه يجهل ، فيعيش بالجهل المركب ، ويفقأ عينيه  
كى لا يرى الحق ، ويصم أذنيه حتى لا يسمع الصواب ،  
ويبتر لسانه لئلا ينطق بالصدق .

ومن يدرس حضارة مصر القديمة ، دراسة واعية  
مخلصة ، بغير أفكار مسبقة أو أحكام منقولة ، فانه  
يتأكد أنها حضارة دينية وعلمية وخلقية ، وأن البعض  
شوها عن عمد أو عن جهل ، خاصة وقد ظلت خافية  
على الناس بعد أن ماتت لفتها وغربت معانيها . حتى  
إذا ما أعاد الفرنسيون اكتشافها ، واستنطقوا كتاباتها ،  
بدأت تظهر معانيها الحقيقية ، وعظمتها الكونية ،  
وطبيعتها الانسانية . انها أول اجتهادات البشرية ،  
وأعظم حلقة فى حلقات التاريخ الانسانى . والاقرار  
بذلك عرفان من الانسان بذاته وسعيه وجهده وهدفه .

أما عن أثر النظام القانونى والقضائى الفرنسى  
على النظام القانونى والقضائى المصرى ، فلا ينكره  
الا مكابر عليل ، كمن ينكر نور الشمس من رمد أو  
يجعد عذوبة الماء من مرض . غير أننى أرى أن ذلك  
الأثر هو تطبيق لقانون الحياة الذى يفرض على كل جيل

أن يساعد الجيل الذى يليه • ففى كتابى «روح العدالة» ( ١٩٨٢ ) أثبت بالأدلة القاطعة أن القانون المصرى تأثر بالقانون الفرنسى الذى كان قد تأثر بالقانون الرومانى ، فى حين أن هذا القانون ( الرومانى ) كان قد تأثر بالفكر المصرى القديم عن العدالة والحق ، بل ونقل كثيرا من معانيها وألفاظها • فالمسألة من ثم تاريخ واحد طويل يتسلسل فى حلقات ، كل منها تفضى الى الأخرى ، وهكذا •

سكت الوزير متأملا بينما قال رئيس مجلس الدولة :  
ولكن هذا الفهم الذى ذكرته وشرحته هو مقلوب  
ومعكوس الفكر الشمولى الذى يسود فى منطقتكم ،  
وخاصة هذه السنوات •

قلت : ان الفكر الشمولى الذى نعيش فيه صار منذ  
فترة طويلة فكرا أيديولوجيا • وفى الأيديولوجيا  
لا توجد حقائق بل شعارات ، ولا يوجد تاريخ ، لأنها  
( الأيديولوجيا ) تلغى ما قبلها ، وتنكر ما حولها ،  
وتغمض عما بعدها ، فتعيش فى حالة من الوهم ،  
مصطنعة ومفتعلة ، خارج نطاق الزمان والمكان ،  
وبعيدا عن مجال الحركة الفعالة والمنطق السوى •

قال وزير العدل : عندما يصدر هذا الكلام من شخص مراقب ، غريب عن منطقكم ، فانه يكون أمرا مقبولا ، لكن الغرابة أن يصدر منك أنت ، وأنت ابن ثقافة شمولية تفهم وتعمل على الضد من كل ما تفهم وتقول أنت .

قلت : أعتقد أنى أقول الحق والصدق الذى لا بد أن نقوله جميعا .

قال الوزير : هذا بالضبط هو الذى يجعلك مخالفا للنمط العادى والنموذج الشائع فى ثقافتكم الشمولية ، وهو ما دعانى الى أن أسألك عن السبب الذى أدى بك الى أن تفلت من أثرها المدمر على الشخصية والعقلية .

أضاف رئيس مجلس الدولة : ثقافتكم الشمولية ، بما تنطوى عليه من أيديولوجية معتقدية ، تؤدى الى إنشطار العقل وانكسار القول ، فلا يكون ثم اعتراف بالحقيقة ، ولا يكون القول بالتالى صادقا أو واضحا .

قلت : كما ذكرت من قبل ، لقد أفلت من الأثر المدمر للثقافة الشمولية بطبيعتى الخاصة ، وثقافتى الانسانية .

قال الوزير : لكن ذلك يجعلك مغتربا (Alien)  
فى قومك !

قلت : لكنه يجعلنى مقتربا من ذاتى •

قال رئيس مجلس الدولة : وهل يفنىك هذا  
الاقتراب عن ذاك الاغتراب •

قلت : هو يفنى عندما يدركه الانسان ويقصده ،  
ذلك أنه يفضى الى توحد فى الذات ، يجعل المرء فى  
صميم الكونية وحقيق الانسانية وجميع الصديقة •

قال الاثنان معا : لكنها ولا بد أن تكون حياة شاقة  
مرهقة •

قلت : على العكس ، انها حياة راقية ممتعة • وهل  
يمكن أن يوجد أرقى من الحياة فى الكونية ، وأسمى  
من الوجود بالانسانية ، وأجدى من العيش بالصدقية ؟

قال الوزير : أرى أنك محق فيما تعتقد وفيما  
تقول •

قال رئيس مجلس الدولة : وفى تقديرى أنك  
سوف تظل على ما أنت عليه •

قلت : هذا قرارى الذى أأخذته بنفسى ولنفسى ،  
خاصة عندما وعيت أثر الطفرة الكونية على طبيعتى ،  
فصرت أبشر بالانسان الكونى وأقدم نفسى مثالا له  
ومثالا عليه .

قالا معا : نرجو لك التوفيق ، وقد أسعدنا بلا شك  
لقاؤنا بك وحديثنا معك .

كان الوقت قد وصل بنا الى الخامسة مساء ،  
فشرعنا فى الانصراف ، وحيانى كل منهما بحرارة .

ركبت سيارة الوزير ، وكنت أعتزم التوجه الى  
غاب بولونيا خارج باريس ، لكننى طلبت من السائق أن  
يذهب بى الى الفندق ، حيث جلست فى حجرتى ،  
وحدى ، لكننى أضمت فى هذه الوحدة جماع الكونية  
والانسانية والصدقية . وظلمت أردد وأنا أجاهر  
وأخافت : بماذا ينتفع الانسان اذا كسب العالم كله  
وخسر نفسه ؟ وماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟!

\*\*\*



ان عهدى مع الصدقية ، وحياتى بها ، هو الذى  
دفعنى الى أن أكتب هذه الدراسة عن « مصر والحملة  
الفرنسية » ، لعلها تكون سبيلا ، ولو لبعض الناس ،  
لكى يعرفوا الحقيقة خالصة ، ويعملوا بها ولها ، مهما  
أثقلت عليهم ظروف معيشة زائفة ، تنكر الحق وترفض  
الصدق وتجحد الصواب .

القاهرة فى ١٢ ابريل ١٩٩٩



## مصر قبل الحملة الفرنسية

التاريخ ، على ما نفهمه حالا ( حاليا ) ، معنى  
مستجد ومستحدث من لفظ التاريخ ، ويعنى به تعريف  
الوقت . وفى كتب اللغة أن أصل اللفظ من الارخ ،  
وهو ولد البقرة الوحشية ، وفى قول آخر أنه ولد البقرة  
الصغيرة . وفى هذا المعنى قال الشاعر :

مسجد ، لا تزال تهوى اليه

أم أرخ ، قناعها متراخى

وقال أمية بن أبى الصلت ( المعاصر للنبي ﷺ ) :

تبيت الليل حانية عليه

كما ( يتقبل ) الأرخ الأطوم

ومن الأرخ أخذت العرب معنى التاريخ ، بما يفيد  
ابتداء الحدث أو الأمر أو الشيء ( لسان العرب . .  
ميادة : أرخ ) .

وقد تطور معنى اللفظ فصار مما يفيد « جملة الأحداث والأحوال التي يمر بها كائن ما » ويصدق بذلك على الفرد والمجتمع والظواهر الطبيعية ، ونحوها » ، وكذلك ، فهو يعنى العلم الذى يرمى الى تسجيل تلك الأحوال ودراستها ( المعجم العربى الأساسى - لاروس - مادة : أرخ ) .

والتاريخ ، بالمعنى الذى تطور اليه اللفظ ، صار عماد الاستعمال حالا ( حاليا ) ، يعد فى المفهوم العلمى الصحيح ، أمرا أساسيا ، وضرورة لا معدى عنها ، لفهم حقيقة وطبيعة أى فرد أو مجتمع أو ظاهرة . - فبدون التاريخ يبدو كل من هؤلاء كما اللقيط الذى لا يعرف أبواه ، ومن ثم يمكن أن يقول فيه أى شخص أى شيء . أما بالتاريخ ، فانه يمكن معرفة أصول الشخص ، وأصول وجذور أسباب الأحداث والأحوال ، بصورة أدنى ما تكون الى الصحة وأقرب ما يمكن الى الحقيقة .

ونظرا لأن هذا المفهوم الصحيح هو الذى يؤدى الى فهم ماضى الأمم ، والوعى بحقائق حاضرها ، والتوقع الممكن لما يحتمل أن يحدث فى مستقبلها ، فان دراسة

تاريخ مصر القريب ، يكون ضرورة وواجبا ، حتى  
نقطع الشكوك التي نضرب فيها ، باليقين الثابت في  
يطون الكتب ، ولكي ما نبدد الاشاعات التي تنبني  
عليها ثقافتنا السمعية الشفاهية بحقيق العلم وصحيح  
الوقائع .

من هذا القصد ، يجرى تقديم عرض للجوانب  
والحوادث المختلفة التي وقعت في مصر ابان الحملة  
الفرنسية ، والتي دونها شيخ المؤرخين عبد الرحمن  
الجبرتي .

فلقد غزت السلطنة العثمانية مصر سنة ١٥١٧  
وحولتها الى ولاية عثمانية ، يحكمها وال عثمانى معين  
من قبل السلطنة ، مع بقاء الحكم في الحقيقة والواقع  
في يد المماليك الذين كانوا يجلبون عبيدا من بلاد  
التركستان وشركسيا والشيستان وغيرها . وكان  
لهؤلاء المماليك كلمة مسموعة ونافذة الى جانب الوالى ،  
بل وعليه . ومن أهم هؤلاء المماليك على بك الكبير  
( ١٧٦٨ - ١٧٧٣ ) الذى أعلن الاستقلال ونادى  
بنفسه سلطانا . وقد أهملت شئون البلاد ومرافقها  
الكبرى اثناء الحكم العثمانى اهمالا تاما ، حتى اناخ  
الفقر وضرب الجهل ورزخ الضعف، مما أدى الى سقوط

مصر فى يد الجيش الفرنسى بقيادة نابليون بونابرت،  
فيما يعرف، باسم الحملة الفرنسية ( ١٧٩٧ - ١٨٠١ )  
والتي يحدد الجبرتي فترتها فيقول « فكانت مدة  
الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات  
واحدى وعشرين يوما . فانهم ملكوا بر انبابة والجيزة  
وكسروا الأمراء المصرية ( المماليك ) ، يوم السبت ١٩  
صفر ١٢١٣ هـ وكان .٠٠ انخلاعهم ليلة الجمعة ٢١  
صفر ١٢١٦ هـ « صفحة ١٩٩ من الكتاب الآتى بيانه .

عبد الرحمن الجبرتي ( ١٧٥٤ - ١٨٣٥ ) شيخ  
المؤرخين ، مصرى ولد بالقاهرة . وتعلم بالأزهر .  
وكان والده حسن الجبرتي من شيوخه . شهد وأرخ  
لمقدم الحملة الفرنسية وأحداثها ، والصراع بين الولاة  
العثمانيين الذى انتهى بتولية محمد على حكم مصر .  
وقد أرخ لهذه الأحداث فى كتابيه « عجائب الآثار فى  
التراجم والأخبار » و « مظهر التقديس بذهاب دولة  
الفرنسييس » . وأول الكتابين يعتبر أهم ما يكشفه  
تاريخ مصر فى القرنين ١٨ و ١٩ ، وله بهذه المشابة  
قيمة عظيمة فى بيان تاريخ مصر الاجتماعى والسياسى  
والحضارى فى تلك الفترة ، وهو الكتاب الذى نعول  
عليه فى هذه الدراسة ( طبعة مصر ١٣٢٢ هـ الجزء

الثالث ) وناخذ منه ونرجع اليه ، خاصة وأن مصنفه الجبرتي ، مصرى أزهرى ، ليس ثمة مطعن على نزاهته ودقته وأحكامه .

وفيما تعرضه الدراسة من هذا الكتاب ، بترتيب وتبويب ، خاص بها ، يبدو أن لغة الكتابة فى ذلك العصر كانت قد انحطت شأن كل شئ فى مصر آنذاك ، فضلا عن وجود الفاظ ومصطلحات اختفت من قاموس التعامل المعاصر ، ومن ثم لزم قبل أو بعد أو أثناء عرض النص المأخوذ من الجبرتي ابداء بعض التعليق أو التصويب ، لجعل هذا النص مقبولا من القارئ المعاصر ، مفهوما له قدر الامكان .

وسوف تقدم الدراسة بمروضا عامة ، وخاصة ، عن الحياة الاجتماعية ، والحضارية ، والادارية ، قبل وأثناء وإثر الحملة الفرنسية ، على أن يلى ذلك تحليل واف وتعليل كاف ، يعمل على ربط الماضى بالحاضر ، وكشف كثير من التصرفات والسلوكيات المصرية ، ببيان جذورها البعيدة وحدودها القريبة .

## الوضع العام فى مصر :

( أ ) كان المماليك هم العنصر الفعال فى حكم مصر ، وأظهرهم قبل الحملة الفرنسية اثنان : ابراهيم بك ، ومراد بك ، بالاضافة الى بعض المماليك ذوى الأهمية ، ولهم يؤرخ الجبرتى فيقول :

« الأمير مراد بك ٠٠٠ هو من مماليك محمد بك أبى الذهب ٠٠٠ اشتراه سنة ١٢٨٢ هـ فأقام فى الرق أياما قليلة عنده ( اذ كان رقيقا من قبل ) ثم أعتقه ، وأمره ، وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه ٠٠٠ ولما مات على بك تزوج بسريته (أى أمته ، أى عبيته ) ٠٠ وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير ٠٠٠ كان هو وابراهيم بك أكبر أمراء محمد بك ( الذى انفرد بحكم مصر ) ٠٠٠ فلما مات محمد بك بعكا ٠٠ رأى مماليكه ( أن يكون الأمير لمصر ) ابراهيم بك ٠ ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله وسكون جأشه ، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها ٠ وعكف مراد بك على لذاته وشهواته وقضى أكثر وقته خارج المدينة ٠٠٠ كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بك فى الأحكام والنقض والابرار ٠٠



والايراد والاصدار ( المصروفات ) ، وقاسمه الأموال  
والدواوين وتقليد ممالكه وأتباعه الولايات والمناصب ،  
وأخذ فى بذل الأموال وانفاقها على أمرائه وأتباعه ،  
فانضم اليه بعض أمراء ... وأخذ الشيء من غير حقه  
وأعطاه لغير مستحقه ... ( وقد ) أخذ يتحجب عن  
الناس ف معظم فيه الهاجس والوسواس . وكان يغلب  
عليه ( هذا ) الهاجس والوسواس وكان يغلب على  
طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط فى  
الاقدام مع عدم الشجاعة . ولم يعهد عليه أنه  
انتصر فى حرب باشره أبدا ، على ما فيه من الادعاء  
والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور .  
حظى عنده كل جرئ غشوم عسوف ذميم ظلوم . وتبدلت  
طبائعهم وشرهت نفوسهم وعلت رؤوسهم ... رجعوا  
( هو وممالكه من الصعيد الى القاهرة ) من غير عقد  
ولا عهد ولا حرب فتعاظم فى نفسه جدا ... واستخلص  
غالب بلاد اقليم الجيزة لنفسه شراء ومعاوضة وغصبا  
... وأوقف الأعوان فى كل جهة يحجزون المراكب  
التي تأتى من البلاد ... يبيعون لأنفسهم ما أحبوا  
ويأخذون الجمالات على ما يسمحون به أو يطلقونه  
لأرباب الوسائط والشفاعات ... ( وقد ) بقيت آلات  
الحرب جميعها والبارود بحواصله والجلل والبنبات

( البمب ) حتى أخذ جميعه الفرنسيس ٠٠٠ نان اجمع عليه ( شخص قوى ) اعطاء ما فى يده او وعده بالخير او وهبه ملك الغير . فما يشعر الميسور الا ولقمته قد اختطفته النصور ٠٠٠ ثم اخذ يبيت . بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار ويتابع لماليكه ختم الوصولات فتجاذب هو وابراهيم بك ذلك الايراد وتعارضت أوراقهما ٠٠٠ ثم اصطلحا على أن تكون له ( مراد بك ) الدواوين البحرية ولقسيمه ( ابراهيم بك ) ما يرد من الأصناف الحجازية وما يضاف الى قلم البهار وحسب فى دقاتر التجار . فانفرد كل منهما بوائسته وفعل بها من الاجحاف ما سطر فى سحيفته ٠٠٠ ( وقد أخذ مراد بك ) أموالا عظيمة من غير حلوا ووضعها فى غير محلها ٠٠٠ فياليتها لم تزن ولم تتصدق ٠٠٠ وقد كان من أعظم الأسباب ذى خراب الاقليم المصرى بما تجدد ( حدث ) منه ومن مماليكه واتباءه من الجور والتهور ٠٠٠ « صفحة ١٧٥ — ١٧٧ .

( ومن المماليك ) « الأمير حسن بك الجداوى ٠٠٠ استقل بمن بقى بالأمرام وفعل معهم من الغرور والحق والشر ما أوجب لهم بغض النعيم ٠٠٠ « صفحة ١٨٠ ، ومنهم « الأمير عثمان المعروف بالشرقاوى ٠٠ وعرف

بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية ووقع منه ظلم وجبروت  
 وصادر كثيرا من الناس فى أموالهم « صفحة ١٨١ »  
 ومنهم « الأمير مصطفى بك الكبير » تولى الصعيد  
 وإمارة الحج عدة مرار ( مرات ) وكان فظا غليظا ..  
 بخيلا شحيحا . وفى إمارته على الحج ترك زيارة المدينة  
 لخوفه من العرب وشحه بموائدهم وقلة اعتنائه بشعائر  
 الدين ، وانتقد ذلك على المصريين « صفحة ١٨٢ ،  
 ومنهم « الأمير قائد أغا » وكان يلقب ... بقائد  
 نار ، لظلمه وتجبره ... أكثر عنده من الأعوان  
 والأتباع ... يضرب الناس ويحبسهم ويصادر أموالهم  
 ... استولى على كثير من حصص الاقطاع .. وكان له  
 أخ من أقبح خلق الله فى الظلم ، اتخذ له أعوانا وأتباعا  
 وليس عنده ما يكفيهم ، فكان يخطف كل ما مر بخطته  
 (منطقته) ... من قمح ولبن وشعير وغير ذلك ولا يدفع  
 له ثمننا « صفحة ١٨٢ ، ١٨٣ »

هذه الحقائق والأوصاف الواضحة ، على إيجازها ،  
 من الجبروت الذى يعد أهم شاهد على عصره ، تفيد  
 بوضوح أن مصر لم تكن لها حكومة ، ولا شريعة ،  
 ولا نظام ، ولا عدل ، ولا أمن ، فى ذلك العهد الفاسد ،  
 من حكم العثمانيين سنة ١٥١٧ حتى تاريخ بداية الحملة

الفرنسية ، وانما كان يتحكم فى الناس والاموال والاعراض طفمة من الممالك ، وهم عبيد مستوردون بالشرا من بلاد بعيدة - أغلبها بلاد التتار ، فكانوا ظلمة فجرة ، أغلبهم بلا دين ولا خلق ، ولا تحضر ولا تمدين ، ولا عقلانية ولا انسانية ، فحطموا مصر وأذلوا شعبها ، وعجزوا عن الدفاع عنها أمام الحملة الفرنسية ، ففتحوا أبوابها من ثم للمستعمرين والمغامرين ، ورسبوا فى الكيان الاجتماعى والتراث الشعبى مفاهيم خاطئة ومضامين فاسدة ، تدفع الى قبول الظلم والفساد والطفيان ، وتمنع أى شجاعة أو جسارة أو اقدام ، وهى مفاهيم ومضامين مازالت ممتدة فعالة فى الهيئة الاجتماعية والاتجاهات الشعبية .

(ب) وفيما يتعلق بالوضع العام فى المجتمع عندما وصلتته أنباء الحملة الفرنسية يؤرخ الجبرتى فيقول :

« فى كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد . وانقطعت الطرق وتمدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام ، واشتغالهم بما دهمهم . وأما بلاد الأرياف فانها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب

بعضهم بعضاً • وكذلك العرب خارت على الأطراف  
والنواحي ، وصار قطر مصر من أوله الى آخره فى قتل  
ونهب واخافة طريق وقيام شر واغارة على الأموال  
وافساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد الذى  
لا يحصى « صفحة ٧ •

« وكانت العلماء ... تجتمع فى الأزهر كل يوم  
ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ  
خفراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية  
والسعدية غيرهم « صفحة ٦ •

« واستمر بعض الناس طول الليل خارجين من  
مصر • البعض بحريره والبعض ينجو بنفسه ، ولا يسأل  
أحد عن أحد ، بل كان كل واحد مشغول بنفسه عن  
أبيه وابنه « صفحة ٩ •

« فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة  
تلقفتهم العربان والفلاحون فأخذوا أمتعتهم ولباسهم  
وأجمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته  
أو يسند جوعه • فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراً يفوق  
العصر... بحيث ان الأموال والذخائر التى خرجت من

مصر ( أى القاهرة حالا ) فى تلك الليلة أضعاف ما بقى  
فيها بلا شك « صفحة ٩ •

« وربما قتلوا ( العربان ) من قدروا عليه أبو دافع  
على نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن  
وهتكوهن ( أى هتكوا أعراضهن ) « صفحة ١٠ •

« وفى كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيين إلى  
مصر وتختلف الناس فى الجهة التى يقصدون المجيء  
منها • فمنهم من يقول انهم واصلون من البر الغربى  
ومنهم من يقول بل يأتون من الشرقى ومنهم من يقول  
بل يأتون من الجهتين • هذا وليس لأحد من أمراء  
العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم  
القتل قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر ، بل  
كل من ابراهيم بك ومراد بك ( الحاكمان ) جمع  
عساكره ومكث مكانه لا ينتقل عنه، ينتظر ما يفعل به،  
وليس ثمة قلعة ولا حصن ولا معقل • وهذا من سوء  
التدبير واهمال أمر العدو « صفحة ٧ •

« فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال  
ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلط الناس بالصياح  
ورفع الأصوات بقولهم يارب ويا لطيف ويا رجال الله •

ونجو ذلك ، وكانهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم • فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم ان الرسول والصحابة انما كانوا يقاتلون بالسيف والحرب وضرب الرقاب ، لا برفع الأصوات والصراخ والتباح ، فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه « صفحة ٨ •

(ج) أما حالة الناس عامة ، ووضع البلد وما فيه ، فيعبر عنه أصدق تعبير ما أرخه الجبرتي عن أفعال وأعمال ووقائع حدثت قبل الحملة الفرنسية ، أو بعد دخول الجيوش الفرنسية الى مصر ، وهى ذات أصل سابق وجذر ممتد من الماضى ( بل والى المستقبل ) :

« إنضم اليهم كثيرون من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والمربى والعيسوية ، فمنهم من يتحلق بذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والمواالات ( المواويل ) • ومنهم من يقول أبياتا من بردة البوصيرى ويجاوبهم آخرون • • • أما العيسوية فهم جماعة من المغاربة • • • يضربون بالدقوف • • • ويلتوتون وينتصبون ، ويرتفعون وينخفضون • • • ويضربون الأرض بأرجلهم • كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة • • • مع ما ينضم الى ذلك من

جمع العوام وتحلقهم بالمسجد والهديان وكثرة اللفظ  
والحكايات والأضاحيك والتلفت الى حسان الغلمان . .  
والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب  
والمكسرات والمأكولات بالمسجد ، وطواف الباعة  
بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء . فيصير المسجد  
(الحسينى) بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش  
ملتحقا بالأسواق الممتلئة . . . ثم زاد على ذلك قدوم  
جماعة . . . من الحارات البعيدة والقريبة . . .  
يتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون  
عليها « صفحة ٤١ »

« اثبتوا هلال رمضان . . . ثم ركب ( المحتسب )  
من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول  
والزمر والنقائير ، والمناداة بالصوم ، وخلفه عدة  
خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم  
بشكل بشع مهول « صفحة ٤٥ »

« أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا  
عليها ، وانكمشوا عن بمضها ، واحتشموا خوفا من  
الفرنسييس ( عندما احتلوا مصر ) . فلما تدرجوا  
وأطلق لهم الفرنساوية القيد، ورخصوا لهم وسايروهم،  
رجعوا اليها ، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى



يرون فرضيتها ، وأنها قريبة تنجيهم من المهالك وتقربهم  
الى الله زلفى فى المسالك . فرمحو فى غفلاتهم مع ما هم  
فيه من الأسر « صفحة ٤٥ »

» . . . . . يعجن نخالته خبزا ، الفقراء والعميان ،  
يتقوتون به ، مع ما يجمعونه من الشحاذة فى طوافهم  
آناء الليل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيمهم  
بالمدائح والخرافات وقراءة القرآن فى البيوت ومساطب  
الشوارع « صفحة ٦٤ »

» السيد على كان رجلا من البله ، وكان يمشى فى  
الأسواق عريانا مكشوف الرأس والسواتين ( أى من قبل  
ومن دبر ) غالبا ، وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم  
به . . . . . ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى ميل الناس لأخيه ،  
واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ،  
فحجر عليه ( أى حبسه ) ومنعه من الخروج من البيت  
والبسه ثيابا وأظهر للناس أنه ( أى الأبله ) أذن له  
بذلك ، وأنه ( أى الأبله ) تولى القبطانية ( أى صار  
قطبا ، بلغة الصوفية ) . . . . . فأقبلت الرجال والنساء  
على زيارته والتبرك به ، وسماع ألفاظه ، والانصات  
الى تخليطاته ، وتأويلها بما فى نفوسهم . وطفق أخوه

المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته ، وإنه يطلع على  
 خطرات القلوب والمغيبات ، وينطق بما فى النفوس ،  
 فأنهمكوا على التردد اليه ، وقلد بعضهم بعضا . وأقبلوا  
 عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة فى كل  
 شئ ، وخصوصا من نساء الأمراء ( المماليك ) الأكابر .  
 وراج حال أخيه واتسعت أمواله ، وتنقت سلعته .  
 وصادت شبكته . وسمن الشيخ ( الأبله ) من كثرة  
 الأكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البوا  
 ( الشئ ) العظيم . . . ( ولما ) مات . . . دفنوه . . .  
 وعمل عليه ( الأخ ) مقصورة ومقاما ، وواظب عليه  
 بالمقرئين والمداحين . . . يتواجدون ويتصارخون ،  
 ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ، ويفرقون  
 بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه فى أعبايهم  
 وجيوبهم » . صفحة ٨٤ .

وفى هذه الواقعة ، التى هى مثل حى واضح صريح  
 تشير الى عقلية الناس وفهمهم الخاطيء للدين ، وتهافتهم  
 على البله والحمقى والجهال ، يورد الجبرتى من شعر  
 بدر الحجازى أبياتا منها :

« ليتنا لم نعش الى أن رأينا  
 كل ذى جنة لدى الناس قطبا

علماءهم به يلوذون بل قد  
 اتخذوه من ذى العرش ربا  
 اذ نسوا الله قائلين فلانا  
 عن جميع الأنعام يفرج كربا  
 واذا مات يجعلوه مزارا  
 وله يهرعون عجا وعربا  
 بعضهم قبل الضريح وبعض  
 عتب الباب قبلوه وتربا  
 هكذا المشركون تفعل مع أصنا  
 مهم ، تبغى بذلك قربا »

تلك صور ، تكاد تنطق بما فيها من بساطة التعبير  
 وسلاسة القول وبراعة القصد . ومنها يظهر بوضوح  
 وجلال أنه لم يكن يوجد شعب بالمعنى الحقيقى ، أو  
 مجتمع بالوصف الصحيح ، أو حكومة بالمعايير  
 المعتبرة ، انما توجد أخلاط متباينة وأمشاج متنافرة ،  
 وقادة طغاة مستبدون . والكل على جهالة وبطالة ،  
 وعماء وغشومة ، وأنانية وعدوانية .

فالناس لا تحترم المساجد ، ولا تعرف لها حرمة أو  
 لياقة ، وانما يحولونها الى أسواق للشعوذة والتراقص ،

والتسامر والتضاحك ، والمأكل والمشرب ، واصطياد  
الغلمان وكثرة التهذيان • وهم يقدسون رجلا أبله عاش  
بينهم وهو عارى السوأتين ، يصدقون أنه صار قطباً  
ويقدمون اليه النذور والهدايا ، ويفسرون خطرفته  
على أنها منطوقات عن أحوالهم ؛ ويبنون له مقاما  
وضريحا • وعندما أذفت الآزفة لم يجتمعوا على قلب  
رجل واحد - كما يقولون - وراء قادة مفكرين  
مدبرين ، أو خلف عقلاء حكماء ، لكنهم يفرون كل  
بنفسه ، لا يعنى باب أو بابن ، بل بنفسه وحده ، وهو  
الحال الذى يصوره المثل الشعبى الدارج « ان جالك  
الطوفان حط ولدك تحت رجلك » • والقادة المحاربون  
يقعدون فى انتظار هجوم الأعداء دون أن يعرفوا عنهم  
شيئا أو يحاولوا التجسس عليهم أو تعويق تقدمهم •

فى هذا الحطام الاجتماعى والركام الشعبى سقطت  
مصر فى ثلاثة أرباع ساعة ، وفى ذلك يقول الجبرتى :  
« الطابور الذى تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية  
معلومة عندهم فى الحرب ( أى بالتنظيم العسكرى  
المعهود فى الحروب ) وتقارب من المئاريس بحيث صار  
محيطا بالمسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبلوله وأرسل  
بنادقه المتتالية •• ( أى أطلق من البنادق الآلية )

والمدافع . . . بحيث خيل للناس أن الأرض تنزلت  
والسماء عليها سقطت ، واستمر الحرب والقتال نحو  
ثلاثة أرباع الساعة ، ثم كانت . . . الهزيمة على  
العسكر الغربى ( فى منطقة امباية ) ، ففرق الكثير من  
الخيالة فى البحر ( فى نهر النيل أثناء عبورهم الى  
القاهرة ) لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا . والبعض  
وقع أسيرا فى أيدي الفرنسيين ( الذين ) ملكوا  
المتاريس . وفر مراد بك ومن معه . . « صفحة ٨ »

وهكذا ، قضى الأمر وسقطت مصر !



## الفرنسيون في مصر

بعد هزيمة المماليك في موقعة امبابية ، فر مراد بك  
( أحد الحاكمين ) الى الصعيد بينما فر ابراهيم بك  
( ثاني الحاكمين ) الى بلاد الشام ، وصارت مصر قطرا  
مفتوحا أمام الفرنسيين .

### الفرنسيون في مصر :

( ١ ) عما حدث في هذا اليوم ، وليلته ، واليوم  
التالى ، يقول الجبرتى :

« كانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة ، جرى  
فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابه  
( حدث ) بعضه في تواريخ المتقدمين . فما ( فمن ) رأى  
( ليس ) كمن سمع . ولما أصبح يوم الأحد المذكور  
والمقيمون ( أى الناس ) لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون  
حلول الفرنسيين ووقوع المكروه . ورجع الكثير من

الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفرع ، فتبين  
أن الافرنج ( الفرنسيون ) لم يعدو ( يعبروا ) الى البر  
الشرقى ... فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ  
وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة الى  
الافرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ، وأرسلوها  
صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم ( الفرنسية ) وآخر  
صحبتة ، فغابا وعادا فأخبرا انهما قابلا كبير القوم  
( نابليون ) ... فقال ... وأين عظماءكم ومشايخكم؟  
ولم تأخروا عن الحضور الينا لترتب لهم ما يكون فيه  
الراحة ... وكتبوا ( الفرنسيون ) لهم ورقة ...  
مضمونها ... خطابا لأهل مصر : اننا أرسلنا لكم فى  
السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا  
الا بقصد ازالة الممالك الذين يستعملون ( يعاملون )  
الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال  
السلطان

ولما حضرنا الى البر الغربى ( منطقة امبابة )  
خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم  
وأمرنا بعضهم ، ونحن فى طلبهم حتى لم ( لن ) يبق  
أحد منهم بالقطر المصرى . وأما المشايخ والعلماء  
وأصحاب المرتبات والرعية ( أى الشعب ) الذى كان



يعد رعية عثمانية ) فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين . . . ثم قال لهم ( للرسولين ) - لابد أن المشايخ والشربجية ( الشوربجية وهم المسئولون عن الأموال ) يأتون إلينا لترتب ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء ، يدبرون الأمور . ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس . وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة ( حيث الفرنسيون ) فتلقاهم ( نابليون ) وضحك لهم وقال : أنتم المشايخ الكبار ؟ فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا . فقال : لآى شىء يهربون ؟ اكتبوا لهم بالحضور ( وسوف ) نعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية واجراء ( تطبيق ) الشريعة . . «  
صفحة ١٠ .

وفى هذا الوقت ، يقول الجبرتى « اجتمعت . . أوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بك ومراد بك . . . وأحرقوهما . ونهبوا أيضا عدة بيوت من بيوت الأمراء ( المماليك ) وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك ، وباعوه بأبخس الأثمان « صفحة ١٠ .  
بعد يومين « عدت ( عبرت ) الفرنساوية الى بر مصر ( البر الغربى ) وسكن بوتابارته بيت محمد بك الألفى ( وهو من المماليك ) بالأزبكية « صفحة ١١ .

« ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعديل ( أى عنف ) ، صاروا أيضا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن ، فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسه ( فرنسى ) ، ويأخذ البيضة بنصف قضة ، قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم . فلما رأى منهم العامة ذاك أنسوا بهم واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك ، مثل السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم ( لهم ) بما أحبوا من الأسعار ( أى رفعوا أسعار السلع المبيعة بما يشاءون ) . وفتح غالب السوق ( الأسواق ) الحوانيت والقهوى » « صفحة ١١ »

(ب) وفى وصف الفرنسيين : يقول الجبرتى قبل أن يشرح بالتفصيل محاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر ، القائد الذى خلف نابليون عندما سافر الى فرنسا .

« وانقضت الحكومة ( المحاكمة ) على ذلك . . . . .  
(و) رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها ، لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ( الحكم

القضائي ) ، ولما فيها من ضبط الأحكام من هؤلاء  
 الطائفة ( الفرنسيون ) الذين يحكمون العقل . . .  
 وقد تجارى ( اجتراً ) على كبيرهم . . . رجل أفاقي  
 ( أفاق ) أهوج ، هو سليمان الحلبي ( وغدره  
 ( أى قتله ) وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله  
 وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار . . . بل رتبوا  
 حكومة ( قضاء ) ومحاكمة . . . ثم نفذوا الحكم بما  
 اقتضاه التحكيم ( حكم به القضاء ) ؛ بخلاف ما رأيناه  
 بمد ذلك من أفعال أوباش المساكر الذين يدعون  
 الاسلام ، ويزعمون أنهم مجاهدون ، وقتلهم الأنفس ،  
 وتجاريتهم ( اجتراءهم ) على هدم البنية الانسانية  
 ( ازهاق روح الانسان ) بمجرد (لمجرد اشباع) شهواتهم  
 الحيوانية « صفحة ١٢٢ »

« ومن طبعهم ( الفرنسيون ) فى الشرب أنهم  
 يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس ، فان زادوا عن  
 ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم . ومن سكر وخرج الى  
 السوق ووقع منه أمر مغل عاقبوه وعزروه . »  
 صفحة ٤٦ .

« قال الخازندار : ان الفرنسيات لا يحبون  
 الكذب ولم يعهد عليهم ( ذلك ) . . . فقال بعض

الحاضرين بما ( لا ) يكذب ( الا ) الحشاشون ،  
والفرنساوية لا يأكلون الحشيش « صفحة ١٦٦ -

» وقال الخازندار عن الفرنسيين : لا يخطر في  
بالكم قلة عساكرهم ، فانهم على قلب رجل واحد «  
صفحة ٦٦ -

وفي حديث لمينو القائد الذى خلف كليبر بعد  
قتله « كل واحد منكم رأى المحبة والاخوة التى كانت  
موجودة ما بين الفرنسيات وما بين أهل الديار  
المصرية ، فقد كان الجيش (الفرنسى) والأهل المذكورون  
مثل الرعية الواحدة (الجماعة الواحدة)» صفحة ١٩٥ -

» ثم ان عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئا  
فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا فى البيوت  
ولكن لم يشوشوا على أحد • ويأخذون المشتريات بزيادة  
عن ثمنها • ففجر السوق وصغروا أقراص الخبز  
وطبخوه (عجنوه) بترابه • وفتح الناس عدة دكاكين  
بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات مثل  
الفطير والكعك والسمن المقل واللحوم والفراخ المحمرة  
وغير ذلك • وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع  
أنواع الأشربة وخمائر (خمارات) وقهاوى • • وفتح

بعض الافرنج البلديين ( المقيمون فى مصر ) بيوتا  
تصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى  
بلادهم فيشتري الأغنام والدجاج والخضارات (الخضار)  
والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ، ويطبخه  
الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات  
( الحلوى ) ويعمل ( يضع ) على بابه علامة لذلك  
يعرفونها بينهم ، فإذا مرت طائفة ( من الفرنسيين )  
بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك المكان ، وهو  
يشتمل على عدة مجالس دون وأعلى (أماكن تحت وفوق)،  
وفى وسطه دكة من الخشب وهى الخوان ( المنضدة )  
التي يوضع عليها الطعام وحولها كراسى، فيجلسون عليها  
( اليها ) ويأتيهم الفراشون ( الندل أو الخدم ) بالطعام  
على قوائميتهم ( نظمهم ) فيأكلون ويشربون على نسق  
( نظام ) لا يتمدونه - وبعد فراغ حاجتهم يدفعون  
ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ، ويذهبون  
لحالهم « صفحة ١٢ -

● مما سلف عرضه يظهر ما يلى :

١ - أن حكام مصر من المماليك سارعوا بالهروب  
من الساحة فور هزيمة جناحهم فى الساحل الغربى ،

الجيزة . بقيادة الطاغية مراد بك ، وبهذا تركوا المصريين للمجهول ، دون أى دفاع عنهم او أى ترتيب لهم .

٢ - ضربت على المصريين سلبية شديدة ، فلا قادة لهم ، ولا زعماء منهم ، ولا رياسة فيهم ، ولا جماعة مستترة ( انتليجنسيا Intellegentia ) ترسم لهم ما ينبغي عمله ، وتبادر الى اتخاذ خطوات أو قرارات . وبهذا قعد الشعب والمشايع ينتظرون ما يفعله فيهم الجيش الغازى .

٣ - وقد خشى كبار المشايخ على أنفسهم ، فاختابوا أو فروا ، ولم يفعلوا أى شىء ، وانما اتجه نفر من المغمورين ، وربما المغامرين ، لملاقاة قائد الجيش الغازى الذى استفسر منهما عن وضعيتهم ، ولما علم أنهم ليسوا الرؤساء الكبار ، طلب مقابلة هؤلاء ، بعد أن أعطاهم وأعطى الشعب أمانا .

٤ - عبر قائد جيش الفرنسيين الغزاة ( نابليون بوناپرت ) عن أهدافهم فى أنها ازالة المماليك ، وترتيب ديوان منتخب لحكم البلاد ، وتطبيق الشريعة .

وحقيقة فان المماليك كانوا طغاة مستبدين ، يجترئون على حيوات الناس وأموال المصريين وأعراضهم ،

لكنه كان من الأليق والأصوب - فى مغيار التاريخ وميزان الشعوب - أن يعمل المصريون على وقف ظلمهم ومنع اجترائهم ، ولو ضحوا بأنفسهم ، التى كانت تذهب هباء لآى نزوة لملوك ، كما انها كانت مع وجود هذا الظلم والظفیان ، عبثا لا قيمة له ولا معنى فيه .

كذلك فان المصريين لم يطالبوا بتطبيق الشريعة وهم مسلمون ، من حكاهم الممالیک وهم مسلمون كذلك ، وانما أعلن ضرورة تطبيقها الجيش الفرنسى . بلسان وقرار قائده .

والى جانب ذلك ، فانه لأول مرة ، فى التاريخ ، يسمع المصريون عن ترتيب ديوان منتخب منهم لمباشرة شئون الحكم والاشراف على ادارة أمور البلاد ، دون أن يكافحوا فى سبيل ذلك ، لا مع الممالیک ، ولا مع السلطنة العثمانية ، أو غيرها .

٥ - دخل الجنود الفرنسيون الى القاهرة ، فى جماعات صغيرة ، دون سلاح وبغير عدوان ، فتبسطوا مع الناس وتضاحكوا معهم ، واشتروا الأشياء بأسعار أغلى من قيمتها ، مقدرين هذه القيمة حسب أسعار بلادهم . وهو أمر عجب له المصريون ، وأظهر الجبرتى

اندهاشه ، لأنهم اعتادوا أن يخطف الجنود والحكام  
ممتلكاتهم وأموالهم وبضائعهم ، غصبا وكرها ، دون  
دفع أى ثمن .

٦ - استغل بعض المصريين تصرف الفرنسيين فلم  
يسلكوا بالأصول ، ولم يتبعوا الأمانة فى البيع ، بل  
غالوا فى أسعار ما كانوا يبيعونه لهم ، وغشوا فى  
صناعة ما يعرضونه عليهم ( وهو أمر لم يزل متبعا حتى  
اليوم ) .

٧ - لاحظ الجبرتى ما قرره من أن الفرنسيين  
يتصرفون على مقتضى العقل ، لأنه كان يعرف أن المماليك  
وجنودهم يتصرفون بنزق وخفة وحمق وطيش .

٨ - وصف الجبرتى ، المصرى الأزهرى الحكيم ،  
سليمان الحلبي بأنه أحمق أهوج ، ولم يقل عنه انه  
بطل مجاهد .

٩ - قارن الجبرتى تصرفات الفرنسيين بتصرفات  
غيرهم ، من الترك وجنودهم ، فقال عن هؤلاء انهم أوباش  
العثمانيين الذين يدعون الاسلام ، وهم يقتلون الناس  
اجترأ لمجرد الشهوة الحيوانية باغتيال أرواح البشر .



١٠ - عندما سكن الفرنسيون الى جوار المصريين لم يشوشروا عليهم ، أى لم يضايقوهم ولم يسيثوا اليهم ولم يخرجوهم من ديارهم ، على عكس ما كان يفعل وماسوف يفعل معهم جنود العثمانيين .

١١ - كان تقدير من تعامل من المصريين مع الفرنسيين أن هؤلاء لا يكذبون ، وقد علل ذلك بأنهم ليسوا حشاشين ، لأنهم لا يتعاطون الحشيش . ويقول الجبرتى انهم يشربون فى اعتدال ، واذا خرج أحدهم عن حد الاعتدال عوقب .

١٢ - قامت بين المصريين والفرنسيين ( الفزاة ) محبة ومودة ، فصاروا كأنهم شعب واحد أو جماعة واحدة .

١٣ - أقيمت للفرنسيين أماكن خاصة لطعامهم وشرابهم ، على النمط والنسق الفرنسى ، كانت بأوضاعها وأوصافها غريبة عن المصريين ، وهى التى صارت فيما بعد ، الأسلوب العادى والنظام السائد ، عالميا ، فى كل المطاعم والمقاهى .

ويؤكد الجبرتى ، ما يكرر دهشته ، من أن الفرنسيين كانوا على الدوام يدفعون ثمن ما يأكلون أو يشربون ثم يذهبون لحالهم ، دون ضجيج أو عدوان .

## الترتيبات الادارية والانشاءات المادية :

استحدثت الفرنسيون فى ادارة البلاد ما يلى :

١ - انشاء ديوان من عشرة من المشايخ ، منتخبين ،  
للاشراف على حكم البلاد ، فيما يعبر عنه الجبرتى بأنه  
« فصل الحكومات » . وبمجرد تحديد أعضاء المجلس ،  
تم تعيين : أغا مستحفظان ( لشئون المالية ) ، ووال  
للشرطة ، وأمين احتساب ( أى المحتسب ) . أى انه  
تشكلت حكومة ، بالمعنى المفهوم حالا ( حالياً ) .

وفى ذلك يقول الجبرتى ، ان أرياب ( أى أعضاء )  
الديوان « كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس  
الماليك ، فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون الا من  
الأتراك ولا يحكمهم سواهم ، وأن المختارين للحكم  
( هم ) من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون  
على الظلم كغيرهم » صفحة ١١ .

٢ - انشاء المجمع العلمى المصرى .

٣ - الأمر بانارة المدينة ونظافتها « نادوا بوقود  
( ايقاد ) قناديل سهارى بالطرق والأسواق » وبضرورة

النظافة » وأن يلازموا ( الناس ) الكنس والرّش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات» ص ٢٠ .

٤ - منع دفن الموتى بالمدافن الملاصقة لبيوت السكن ، أو أن يحدث الدفن بالقرب من سطح الأرض دون حفر قبر عميق » نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الأزبكية والرويعي ، ولا يدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة . والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميتة فى ترب المماليك . واذا دفنوا يبالغون ( أى يزيدون ) فى تسفيل ( تعميق ) الحفر » ص ٢١ .

٥ - ضرورة النظافة ونشر المفروشات والقضاء على الروائح العفنة » ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة ( الأسطح ) عدة أيام ، وبتبخير البيوت بالبخورات ( البخور ) بالمذهبة للعفونة . كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدوه ( وعدواه ) » صفحة ٢١ .

٦ - انشاء منتزهات وطرقات وجسور على أسلوب عصرى حديث » أحدثوا بغيط النوبى المجاورة للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة ( أى بأسلوب مختلف عما عهده

المصريون ) متنزهه ( منتزه ) يجتمع بها النساء  
والرجال للهو ٠٠٠ ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون  
وجعلوا في أعلاه طاحونا تدور في الهواء عجيبة ٠٠٠  
وشرعوا في ردم جهات ( أماكن ) حول بركة الأزبكية  
٠٠٠ حتى جعلوها رحبة ٠٠٠ وقطعوا أشجارها  
وردموا مكانها بالأتربة ٠٠٠ على خط معتدل من  
الجهتين ٠٠٠ وجددوا القنطرة ٠٠٠ وكانت ( قد )  
آلت للسقوط . وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق  
بحيث صار جسرا عظيما ممهدا مستويا على خط  
مستقيم من الأزبكية الى بولاق ٠٠٠ ( ثم ) ينقسم  
بقرب بولاق قسمين : قسم الى طريق أبى العلا ، وقسم  
يذهب الى ٠٠٠ ساحل النيل ٠٠٠ وأحدثوا طريقا  
أخرى فيما بين باب الحديد وباب المدوى ٠٠٠ بحيث  
صارت طريقا ممتدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر ٠٠٠  
على خط مستقيم من الجهتين ٠٠٠ وقيدوا ( رتبوا )  
بذلك أنفارا منهم يتعاهدون تلك الطرق ويصلحون  
ما يخرج منها عن قالب الاعتدال ٠٠٠ وفعلوا هذا  
الشغل الكبير والفعل العظيم فى أقرب زمن ( وقت ) «  
صفحة ٣٥ .

٧ - انشاء جسور على النيل « الفرنساوية عملوا  
جسرا من مراكب مصطفة وعليها أخشاب مسمرة من

ير مصر ( القاهرة حالا ) من قصر العينى الى الروضة  
 ... تسير عليها الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر  
 الآخر .. وعملوا جسرا عظيما من الروضة الى الجيزة  
 ( وهو ما أقيم مكانه فيما بعد كوبرى عباس ثم كوبرى  
 الجيزة ) « صفحة ٥٧ »

٨ - تأسيس مكتبة عامة . « فى أحد البيوت  
 وضعوا جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ( مدير )  
 ومباشرون ، يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد  
 المراجعة ... ( وكانوا ) يحضرون أنواع الكتب  
 المطبوع بها أنواع التصاوير ( مختلف الصور ) وكرات  
 البلاد ( خرائط جغرافية ) والأقاليم والحيوانات  
 والطيور والنباتات ، وتواريخ القدماء ، وسير الأمم ،  
 وقصص الأنبياء ... وحوادث أمهم ، مما يحير  
 الأفكار » صفحة ٣٥ .

٩ - تخصيص منطقة للبحث العلمى « أفردوا  
 للمديرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية  
 كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصوريين  
 والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية ...  
 ( وزقاقا ) به بيوت » صفحة ٣٥ .

١٠ - ادخال الأدوات التقنية فى العمل «يستعينون فى الأشغال وسرعة العمل بالآلات قريبة المآخذ ، السهلة التناول ، المساعدة فى العمل وقلة الكلفة ( فقد ) كانوا يجعلون بدل الخلقان والقصاع عربات صغيرة ويداهما ممتدتان من خلف ( أمام العامل ) يملؤها الفاعل ترابا أو طينا أو أحجارا من مقدمها بسهولة بحيث تتسع مقدار خمسة غلقان ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين ويدفعها أمامه فتجرى على عجلتها بأدنى مساعدة الى محل العمل فيميلها باحدى يديه ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة . . . . . وكذلك كانت لهم فئوس وقزم ( أداة حديدية ) محكمة الصنعة ، متقنة الوضع »  
صفحة ٣٥ .

وقد « غرقت (مركب) فنزلت طائفة من الفرنسيين فى مراكب صفار وذهبوا اليها فى الغاطس ( مكان غرقها ) وأخرجوها بالآلات ركبوها واصطنعوها من علم جرائق »  
صفحة ٣٩ .

١١ - استخدام البارود والألغام فى الهدم بأسلوب علمى « وقد كان الفرنسيون يجمعونها به ( بالبناء ) لغما بالبارود المدفون فاشتعلت ذلك اللغم ورفع ما فوقه من الأبنية ، وطاروا فى الهواء . . . . . وانهدم جميع ما هناك

من الدور والمباني العظيمة والقصور المطلة على البركة ،  
واحترق جميع البيوت التى عند بين المفارق . . . والخطة  
( المنطقة ) المعروفة بالساكت بأجمها . . . وكذلك خطة  
الفوالة بأسرها ، وكذلك خطة الرويعى » صفحة ١٠١ .

« كانوا يهدمون . . . بالبارود على طريقة اللغم  
فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود  
وانحباسه فى الأرض فيسمع له صوت عظيم ودوى »  
صفحة ١٧١ .

١٢ - انشاء مناطق لعزل القادمين الى مصر ،  
لمنع نقل الأمراض « عملوا كرنتيلا عند العادلية لمن  
يأتى من بر الشام من العسكر » صفحة ٥٨ .

١٣ - استحداث أسلوب نشر الأوامر ، وكتابتها  
ولصقها فى عدة أماكن ليراها الناس . فقد صدر أمر  
من سارى عسكر ( قائد الحملة ) يلزم المديرين بالديوان  
( المختصون بتنفيذها ما يصدر عن الديوان من أوامر  
أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها ) أى يتابع  
تنفيذها ) . صفحة ٥٥ .

١٤ - استحداث نظام ضبط عقود الزواج ووفد  
الميلاد والوفاة ، وقييد المسافرين والغرباء والأب

عنهم وضبط الأملاك » ذكروا فى الديوان ٠٠٠ ضبط  
 وحصر من يموت ومن يولد ٠٠٠ وأن يقيد ( يقيض )  
 له من يتصدى لذلك ويرتبه ويدبره ٠٠٠ ( ففى ) ذلك  
 حكما وفوائد منها ضبط الانساب ومعرفة الأعمار ٠٠٠  
 وانقضاء عدة الزواج ٠٠٠ « صفحة ١٤٩ ٠ وكان  
 بونابرت قد » أمر بأن يحرر دفتر يكتب فيه أسماء  
 كامل الميتين ( لأموات ) ٠٠٠ ( ثم طلب مينو ) دفتر  
 آخر خلافه يتحرر فيه أسماء المولودين ٠٠ ( و ) دفتر  
 للزواج ٠٠٠ ثم يتبع ذلك بتحديد نظام غير قابل للتغيير  
 فى ضبط الأملاك « صفحة ١٥١ ٠ » ويلزم كل صاحب  
 خمار أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو  
 مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم  
 البلد ولا يتأخر عن الاخبار الا مدة ٢٤ ساعة ، يعرفه  
 عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة  
 سفره ومن أى طائفة ، أو ضيفا أو تاجرا أو زائرا أو  
 غريما مخاصما ، لابد لصاحب المكان من ايضاح  
 البيان « صفحة ٥٥ ٠

١٥ - اناطة القضاء بالمصريين بدلا من قاضى  
 عسكر ( أى الرومى الذى كان يعين رئيسا عسكريا  
 للقضاء ) ٠ « اجتمع أرباب ( أعضاء ) الديوان ٠٠



وحضر اليهم ورقة من كبير الفرنسيين قرئت عليهم  
مضمونها ... أنه وجه اليكم ( اليهم ) أن تقتنعوا  
( تنتخبوا ) وتختاروا شيئا من العلماء يكون من  
أهل مصر ومولود بها يتولى القضاء ، ويقضى  
بالأحكام الشرعية ... واستحسن أن يجتمع علماء  
المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء  
مصر وعقلائهم لأجل موافقة القرآن الكريم باتباع سبيل  
المؤمنين « صفحة ٧٦ »

● هذا الذى أنجزه الفرنسيون من اصلاحات  
ادارية وانشاءات مادية وتغييرات تقنية ، مما يلوح معه  
أنهم كانوا يعرفون الكثير عن مصر من قبل الحملة ،  
وأنهم كانوا قد غزوها ليستقروا فيها ، ولتكون مركزا  
لقاعدته لهم تمتد الى الشام شرقا والى الغرب غربا . لكن  
التساؤل الذى لا بد أن يلح على الخاطر ، هو أن العثمانيين  
غزوا مصر واحتلوها سنة ١٥١٧ رغم وجود الخلافة  
العباسية الثانية بها ، فلماذا أهملوها كل هذا الاهما  
واستعبدوا أهلها على الصورة التى سبق الالمح اليها  
ولم يضبطوا فيها الأعمال الادارية ولا أقاموا  
انشاءات مادية ؟! ذلك هو السؤال !



## ثورة المصريين على الفرنسيين

مما سطره الجبرتي ، خير شاهد على عصره ، يظهر بوضوح أن العلاقة بين المصريين من جانب والفرنسيين من جانب آخر ، لم تكن مضطربة متعكرة ، بل على العكس فإن فيما ذكره ( الجبرتي ) ما يفيد أن هذه العلاقة كانت حسنة طيبة ، ساعد على ذلك أن الفرنسيين — كما يورد الجبرتي في تاريخه — لم يقتلوا اعتباطا ولم يصادروا بنشومة ، ولم يمتدوا بالعنف ، وإنما تعاملوا مع الناس بالحسنى ، ودفَعوا أثمان ما كانوا يشترون ، وضبطوا تصرفاتهم ، وسكنوا بين المصريين قلم يشوشوا عليهم أو يسيثوا اليهم .

مادام الحال كذلك ، فما الذي عكر صفو العلاقة بين الجانبين ؟

يقول بعض الكتاب والصحفيين ان المصريين قاوموا الاحتلال الفرنسي منذ البداية ، وأنهم قاموا بثورتين ،

كما أن أحد أبناء الشام تضامن معهم فاغتال قائدهم  
كليبر ، جهادا منه ومغازاة ( غزوا ) في سبيل الله - ولما  
كان من الأفضل عدم القاء الأقوال المرسلة على  
عواهنها ، واختلاق الأحداث المنتحلة التي لا أساس  
لها ، فإنه يكون من الصحيح والعلمى ، أن يكون المرجع  
في البيان والوصف ما ذكره الجبرتي نصا في كتاباته .

. وأول ما يلحظ في ذلك أن الجبرتي لم يذكر وصف  
الثورة لما حدث من بعض أبناء القاهرة ضد الفرنسيين ،  
وانما أورد أحداث الواقعة الأولى دون توصيف لها أو  
تكييف لمعناها ، وقال في وصف أحداث الواقعة الثانية  
انها « حركة » ، تماما كما قيل عن الانقلاب العسكرى  
الذى وقع فى مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انه حركة  
الجيش ، وكانت هذه النصفة تذكر حتى فى الأوراق  
الرسمية . وأهم مثل فى ذلك ، الاعلان الدستوري  
الصادر فى ١٧ يناير ١٩٥٣ ، والذى عنون بأنه صادر  
من رئيس حركة الجيش .

( أ ) عن الواقعة الأولى يقول الجبرتي « عملوا لهم  
( للمشايخ ) ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة الموارث  
وفروض القسمة الشرعية وخصص الورثة ، والآيات  
( القرآنية ) المتعلقة بذلك فاستحسنوا ذلك . . . » ( و )

واحضروا(ذى عقدوا)الديوان واحضروا قائمة مقررات  
الأملاك والعقار ، فجعلوا على الأعلى ( الأكبر ) ثمانية  
فرانسه ( فرنك فرنسى ) والأوسط ستة والأدنى ثلاثة .  
وما كان أجرته اقل من ريال فى الشهر فهو معافى .  
وأما الوكائل (الوكالات) والخانات والحمامات والمعاصر  
والسيارج ( السرج ) والحوانيت ، فمنها ما جعلوا عليه  
ثلاثين وأربعين بحسب الخسة ( الوضاعة أو الفقر )  
والرواج والاتساع ( الغنى ) ، وكتبوا بذلك مناشير  
( منشورات ) على عاداتهم ، والصقوها بالمفارق والطرق ،  
وأرسلوا منها نسخا للأعيان وعينوا المهندسين ومعهم  
أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى . ( بتحديد مستويات  
العقارات ) وشرعوا فى الضبط والاحصاء ، وطافوا  
ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها .  
ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ،  
والبعض استسلم للقضاء . فانتبذ جماعة من العامة  
وتناجوا فى ذلك ، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين  
الذى لم ينظر فى عواقب الأمور ولم يتفكر أنه فى  
القبضة مأسور ، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير  
رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم ، وأصبحوا ...  
متحزبين وعلى الجهاد عازمين ، وأبرزوا ما كانوا أخفوه  
من السلاح وآلات الحرب والكفاح .

وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية  
 وزعر ( أذاعر ) الحارات البرانية ولهم صياح عظيم  
 وهول جسيم ، ويقولون بصياح فى الكلام : نصر الله  
 دين الاسلام . فذهبوا الى بيت قاضى العسكر (الرومى)  
 وتجمعوا ، وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر ،  
 فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابيه .  
 فرموه بالحجارة والطوب ، وطلب ( حاول ) الهرب فلم  
 يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر  
 . . . وفى ذلك الوقت حضر ديسوى ( الفرنسى ) . . .  
 فبادروا اليه وضربوه وثخنوا جراحاته ، وقتل الكثير من  
 فرسانه وأبطاله وشجعانه . . . فعند ذلك أخذ المسلمون  
 حذرهم وخرجوا يهرعون ، ومن كل حدب ينسلون ،  
 ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة ،  
 كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب  
 الشعرية وجهة البندقانيين وما جازاها ، ولم يتمدوا  
 الى جهة سواها ، وهدموا مسايطب الخوانيت وجعلوا  
 أحجارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم العدو فى  
 وقت المعركة ، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من  
 الناس . وأما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية  
 ( خلاف المنطقة المحددة فيما سبق ) فلم يفزع منهم فازع  
 ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع . وكذلك شد عن

الوفاق ( الاتفاق ) مصر العتيقة وبولاك ، وعذرهم  
الأكبر قربهم من مساكن العسكر ( الفرنسيين ) ولم  
تزل طائفة المحاربين ( لعل اللفظ تصريف من لفظ  
الحرابة بمعنى الخروج على الحاكم ) فى الأزقة  
متترسين ، فوصل جماعة من الفرنساويين وظهروا من  
ناحية المناخلى ، وبندقوا ( أطلقوا البنادق ) على  
متراس الشوائين وبه جماعة من مفاربة الفحامين  
فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم •

وعند ذاك زاد الحال وكثر الرجز والزلال ،  
وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس  
والطرد ، وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب  
على التمام ، فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور  
النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت  
المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع والأمانات ،  
وسبوا ( من السبى ، أى أسروا ) النساء والبنات ،  
وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة  
والموجودات ، وأكثروا من المعايب (العيوب والمساوىء)  
ولم يفكروا فى العواقب • وباتوا تلك الليلة سهرانين  
وعلى هذا الحال مستمرين •

وأما الافرنج ( الفرنسيون ) فانهم اصبحوا  
 مستعدين ، وعلى تلال ابرقية والقلعة واقفين ،  
 وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقناير ( القنابل )  
 والبنبات ( المقذوفات ) ووقفوا مستحضرين  
 ( مستعدين ) ، ولأمر كبيرهم ( قائدهم ) منتظرين ،  
 وكان كبير الفرنسيين ( بونابرت ) أرسل الى المشايخ  
 مراسلة فلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة (التسويق)  
 هذا والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال  
 ضعفين ، حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر .  
 فعند ذلك ضربوا ( الفرنسيون ) بالمدافع والبنبات  
 ( المقذوفات ) على البيوت والحارات ، وتعمدوا  
 بالخصوص الجامع الأزهر ، وجرروا عليه المدافع والقنبر  
 ( القنابل ) وكذلك ما جاوره من أماكن المحاريين ،  
 كسوق الغورية والفحامين ، فلما سقط عليهم ذلك  
 ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا يا سلام  
 من هذه الآلام ، يا خفى الألفاظ نجنا مما نخاف .

وهربوا من كل سوق ودخلوا فى الشقوق  
 وتتابع الرمي من القلعة والكيमान ، حتى تزعزعت  
 الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور وسقطت  
 بعض القصور ونزلت فى البيوت والوكائل وأصمت



الآذان بصوتها الهائل ، فلما عظم الخطب ، وزال الحال والخطب ، ركب المشايخ الى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ، ويكفهم كما انكف المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال .

فلما ذهبوا اليه واجتمعوا عليه ، عاتبهم في التأخير ، واتهمهم في التقصير ، فاعتذروا اليه فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمي عنهم ، وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان في المسالك ، وتسامع الناس بذلك فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبيع البشارة واطمأنت منهم القلوب . . .

وأما أهل الحسينية والعطوف البرانية فانهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمي والقتال ملازمين ، لكن خانهم المقصود وفرغ منهم البارود . والافرنج ( الفرنسيون ) أثخنوهم بالرمي المتتابع بانقناير والمدافع ، الى أن فرغت من عندهم الأدوات ، فعبجزوا . . . وانصرفوا ، وكف عنهم القوم ( الفرنسيون ) . . . و دخل الافرنج المدينة . . . ومروا . . . لا يجدون لهم مانع . . . ومشوا الى الغورية . . . وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين . . . ثم

دخلوا الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول... وانتهكت  
حرمة تلك البقعة بعد ان كانت أشرف البقاع...  
والفرنساوية لا يمرون بها الا فى النادر ، ويحترمونها  
عن غيرها فى الباطن والظاهر...

فركب ٠٠ المشايخ أجمع وذهبوا لبيت صارى  
عسكر ، ( بونابرت ) وقابلوه وخاطبوه فى العفو  
ولاطفوه ، والتمسوا منه أمانا كافيا... (و) ترجوا  
عنده فى اخراج العسكر من الجامع الأزهر فأجابهم لذلك  
السؤال وأمر باخراجهم فى الحال « صفحة ٢٥ - ٢٨ »

هذه احداث ما يطلق عليه البعض وصف الثورة ،  
يتضح مما بسطه الجبرتى أنه :

١ - قام بها جماعة من العامة ، ووافقهم بعض  
المتعممين ، الذين لم يصفهم الجبرتى بأنهم شيوخ ،  
وانضم اليهم الفوغاء والحشرات ( أى سفلة الأسافل )  
والزعر ( وهم سيئوا الخلق قليلوا الخبرة ) ، بلا رئيس  
يسوسهم ولا قائد يقودهم .

٢ - والسبب فيها ان الديوان بدأ يفرض ضرائب  
وعوائد على المقتارات والتجارة ، بطريقة قانونية

ووسيلة شرعية • مع أن المؤكد ، من الوقائع التى ذكرها الجبرتى قبل وبعد الحملة الفرنسية ، أن العثمانيين وجنودهم والماليك وأتباعهم ، كانوا يأخذون من الناس ما يشاءون غصبا ، ويصادرون الأموال والأموال بلا أى قانون أو سند - ويفرضون الفردة ( أى مبالغ يبتزونها بلا أى أساس ) ، كما كانوا يلزمون الناس بما يسمونه قروضا ، وهى غصب أموال لا ترد • فكيف لم يشر الناثرون ولم تهج العامة على هذا الأسلوب الهمجى ، الذى كان يقع كالطامة ، بغير أى أساس قانونى ودون أى سند شرعى ، فيستكينون له ويدعون لوقعه ، لكنهم يتهيجون لفرض ضرائب بنظام محدد مقنن ، يصدر عن ديوان يتكون من مشايخهم ؟ والأغرب من ذلك أن يتهيج من هذه الضرائب العامة والفوغاء والحشرات والزعر ، وهم عادة من المعدمين الذين لا يملكون عقارا ولا يمارسون تجارة •

٣ - أرسل بوناپرت رسالة الى المشايخ فلم يردوا عليه • وتحول هياج ( هوجة ) العامة ، ومن معهم ، الى النهب والسلب من بيوت الشوام والأروام والمسلمين ، وسبوا النساء ( أى أخذوهم سبايا لهم يباح لهم مضاجعتهم ) ، وأكثروا من الفحشاء •

فهذه تورة ، أم انه أمر تظاهره العصيان وباطنه  
السلب والنهب وهتك اعراض نساء توجد في المدينة ،  
ثم يحارب رجالهم ولم يشتركن في حرب أو في ضرب ،  
فلما انتهى التخريب الى الحرب والضرب فرت العامة ،  
ومن ظاهرهم ، وحق الأذى بالأبرياء من الناس !!

(ب) أشيع عن عقد صلح بين السلطنة العثمانية  
والجيش الفرنسي ليخرج هذا الجيش من مصر ، ويقول  
الجبرتي نصبا « فلما كان بعد العشاء دخل ٠٠ الأغا  
( من رجال الدولة العثمانية ) الى مصر في موكب ،  
فحصل للناس ضجة عظيمة ٠٠٠ فلما كان صبح تلك  
الليلة عبل ( عقد ) ديوانا وجمع العلماء ٠٠٠ وأعيان  
الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام ، فلما  
تكاملوا ابرز لهم فرمانا من الوزير ٠٠٠ مضمونه  
( فرض ) المكوس ( الجمارك ) بمصر وبولاق ومصر  
القديمة ٠٠ والتحكير على جميع الواردات من أصناف  
الأقوات فيشتريها بالثمن الذي يسعره هو ٠٠٠ وأن ٠٠  
كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل ٠٠ ( المال اللازم )  
لترحيل الفرنسيات ٠٠٠ وأخذ ( كبير التجار ) في  
تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل  
الأسواق والحرف ، وشرعوا في تحكير الأقوات فغلت

اسعارها وضاعقت مؤن الناس ودهى الناس من أول  
 احكامهم ( احكام انعثمانيين ) ٠٠٠ وأول مطلوبهم  
 مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم ٠٠٠ فكان  
 كل من توجه عليه مقدار ٠٠ اجتهد فى تحصيله وأخرجه  
 عن طيب قلب وانشراح خاطر ، وبادر بالدفع من غير  
 تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ، ويقول سنة  
 مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ، كل ذلك  
 بمشاهدة الفرنسيين ٠٠٠ وأما الرعايا وهمج الناس  
 من أهل مصر فانهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا  
 للفرنسيين بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار ،  
 وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتناولوا عليهم  
 بالسب واللامن والسخرية ، ولم يفكروا فى عواقب  
 الأمور ، ولم يتركوا معهم للصالح مكانا ، حتى أن فقهاء  
 المكاتب ( الكتاتيب ) كانوا يجمعون الأطفال ويمشون  
 بهم فرقا وطوائف حسبة وهم يجهرون ويقولون كلاما  
 مقفى بأعلى أصواتهم يلعن النصارى وأعوانهم ٠٠٠  
 وظنوا فروغ ( فراغ ) انقضية ولم يملكوا لأنفسهم  
 صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة ( لمفادرة الفرنسيين  
 أرض مصر ) ، على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة  
 التى تأسست فى قلوب الفرنسيين وأوجبت ما حصل  
 بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس ٠٠٠ وأخذ

الفرنساوية في اهبة الرحيل ... ثم ان انعثمانيين  
تدرجوا في دخول مصر ... وأخذوا يشاركون الناس  
في صناعاتهم وحرفهم ، مثل القهوجية والحمامية  
( أصحاب الحمامات العامة ) والخياطين والمزينين  
وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى ... قائم  
مقام ( الحاكم العثماني ) وشكوا اليه فلم يلتفت  
لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم  
القبيحة ... وهيأت نساء الأمراء ( المماليك ) والجناد  
احتياجاتهم وترتيباتهم ، وجروا على عادتهم في التغالي  
( المبالغة ) ، ولازمت الخدم والفراشون القدو والرواح  
... وهم يتغنسون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام  
وسخريات ولعن النصاري البلدية ( الأقباط )  
والفرنسيين ، بمرأى منهم ومسمع ... مما يحرك  
الحفاظ ويوغر الصدور ...

ويقال ان فرنساوية ( كان قد ) أرسل اليهم  
بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير  
( العثماني ) اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساوية  
اذا صاروا بظاهر البحر ( بعد خروجهم من مصر ) ،  
فلما ... تحققوا ذلك ... تأهبوا للمقاومة  
والمحاربة ، وردوا آلاتهم الى القلاع ... وحصنوا

الجهات . . وأبقوا . . بها . . عساكرهم . . ( و )  
 أرسلوا الى الوزير ( العثماني ) يأمرونه بالرحيل فلم  
 يسمعه الا الارتحال . . . وغالب عساكره مفرقون  
 منتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال  
 ومقررات مقر الفرض وظلم الفقراء .

وأما أهل مصر فانهم . . . كثر فيهم اللغظ والقليل  
 والقال ولم يدركوا حقيقة الحال ، فهاجوا ورمحوا الى  
 أطراف ( اطراف ) البلد ، وقتلوا أشخاصا من  
 الفرنسيات . . . وذهبت شرذمة من عامة ( عوام ) أهل  
 مصر فانتهبت الخشب وما وجدوه من نحاس وغيره حيث  
 كان ( ملك ) الفرنسيات ، وخرج السيد عمر أفندي  
 نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقي وانضم اليهم  
 أترك خان الخليلي والمغاربة الذين بمصر . . . وتبعهم  
 كثير من عامة البلد وتجمعوا على التلويح خارج باب النصر  
 وبأيدي الكثير منهم النبايت والعصى ، والقلل ( أى  
 القلة منهم ) معه السلاح . . . تحزب كثير من طوائف  
 العامة والأوباش والحشرات ( سفلة السفلة ) وجعلوا  
 يطوفون بالأزقة وأطراف ( أطراف ) البلد ولهم صياح  
 وضجيج . . .

فقال نصوح باشا ( العثماني ) للعامة اقتلوا  
 النصارى وجاهدوا فيهم . . . فلما أظلم الليل أطلق

الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع  
ووالوا الضرب بالخصوص على خط ( منطقة )  
الجمالية ، لكون العظم ( أكثر الجمع ) مجتمعاً بها .  
فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبراء والرؤساء  
على الخروج من البلد فى تلك الليلة ، لعجزهم عن  
المقاومة وعدم ( وجود ) آلات الحرب وعزة ( قلة )  
الأقوات ، و ( لأن ) القلاع بيد فرنساوية ... فتجهز  
المعظم للخروج وغصت خطة الجمالية وما والاها من  
الأخطاط ( الأحياء ) بازدهام الناس ... وركب بعضهم  
بعضاً ... ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب  
والمشقة والانزعاج والخوف مالا يوصف ...

وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو  
فرنساوى أخذه ... حيث عثمان كتنخدا ( العثماني )  
ويأخذ عليه البقشيش ، فيحبس البعض ... ويقتل  
البعض ظلماً ... وأرسلوا فأحضروا ... المدافع  
الكائنة بالمطرية ، فكانوا كلما أدخلوا مدفعاً أدخلوه  
بجمع عظيم من الأوياش والحرافيش ( أصلها : حارة  
فيش ، أى الذى ليس له أهل ولا مكان ) والأطفال ولهم  
صياح ونباح ...

وحضر رجل مغربى ... والتفت عليه طائفة من  
المغاربة البلدية ( المقيمون فى مصر ) ... وفعل ذلك



المغربي أمورا تنكر عليه ، لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون ضدوره عنه ... ومعه جمع من العوام والعسكر ( العثمانيين ) ... يذهبون الدار ويسحبون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلي والثياب . ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب ، وتتبع النابن عورات بعضهم البعض ... وأما ( بعض الماليك ، فقد ) ... ذهبوا ... فحارب الفرنسيات ... ولم يكن لهم بهم طاقة فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا في الأرياف يتكففون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ومات أكثرهم من العرى والجوع ... ( و ) تكلموا مع الوزير ( العثماني ) ... فاعتذر اليهم بأعداد منها: عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانه ( الأسلحة ) والمدافع الكبار بالعريش ، اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين ( العثمانيين والفرنسيين ) وظنه غفلة الفرنسيات عما دبره عليهم مع الانكليز ... ( و ) ارتحل الوزير ورجع الى الشام ...

و اما مراد بك ... ( فقد ) استمر على صلحه مع الفرنسيات ... ( و ) بعد ثمانية أيام من ابتداء

الحركة ٠٠ قطعوا ( الفرنسيون ) الجانب (الوارد) ٠٠  
وأحاطوا بها ( البلد ) احاطة السوار بالمعصم ٠٠٠ (ف)  
عدمت ( انعدمت ) الأقوات وغلت اسعار المبيعات  
وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات وارتفع ( قل )  
وجود الخبز من الأسواق ٠٠٠ وصارت العساكر  
( العثمانيون ) ٠٠٠ يخطفون ما يجدونه بأيدي الناس  
مع المآكل والمشرب ٠٠٠

هذا والمناداة في كل وقت بالعربي والتركي على  
الناس بالجهاد ٠٠٠ وجرى على الناس ما لا يسطر في  
كتاب ولم يكن لأحد في حساب ٠٠ وتوقع الهلاك كل  
لحظة والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة ( تغلب ) الجهلاء  
على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور  
العامة ولغظ الحرافيش .

( وحاول بعض الناس التفاهم مع الفرنسيين  
لانهاء الوضع ، فتحدثوا مع سارى عسكر ) ٠٠٠  
فاعتدروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا  
الدولة وابراهيم بك ( العثمانيون ) ومن معهم ، فانهم  
أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ومنو الناس الأمانى  
الكاذبة ، والعامة لا عقول لهم ٠٠٠ فلما رجع المشايخ  
٠٠ وسمعه الانكشارية ( جنود العثمانيين ) والناس

قاموا عليهم وسبوهم وشتموهم وضربوا ... ورموا  
عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون  
هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا ( تحولوا الى ) فرنسيس ،  
مرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دراهم من  
الفرنسيس .

وتكلم السفلة والفوغام ... وتشدد في ذلك  
الرجل المغربي الملتف عليه أخلاط العالم ( الناس )  
ونادى من عند نفسه : الصلح منقوض وعليكم بالجهاد  
من تأخر عنه ضرب عنقه ... وان غرضه هو فى دوام  
الفتنة ، فان بها يتوصل لما يريد من النهب والسلب  
والتصور بصورة الامارة باجتماع الأوغاد عليه ...  
( و ) أرسل اليهم الباشا ( الوزير ) والكتبخدا يقولان  
لهم ... لا نرجع عن حربهم ( حرب الفرنسيين ) حتى  
نظفر بهم أو نموت عن آخرنا ... وصمموا على  
العناد ... حتى ضاق خناق الناس من استمرار  
الليل والنهار ، مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى  
هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وايزاء  
عسكر العثماني للرعية ، وخطفهم ما يجدونه معهم ،  
حتى تمنوا ( المصريون ) زوالهم ( أى زوال العثمانيين )  
ورجوع الفرنسيين ... ( ثم انتهى كل ذلك « بعد

ثلاثين يوماً . وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج  
والشتات والهيّاج وخراب الدور وعظائم الأمور . وقتل  
الرجال . ونهب الأموال وتسلبت الأشرار وهتك الأحرار»  
صفحة ٩٥ - ١٠٩ ) .

١١٠

فالذى يخلص من واقع سرد الجبرتي . المصري  
الأزهري ، للأحداث ، أنه :

١ - وقع صلح بين العثمانيين والفرنسيين  
( بقيادة كليبر ) يغادر هؤلاء بمقتضاه أرض مصر ، لكن  
العثمانيين تواطوا مع الانجليز على محاصرة الفرنسيين  
في البحر الأبيض ( المتوسط ) ، وضربهم ، وهو ما اعترف  
به الوزير العثماني على تقدير منه بأن ذلك يحدث  
في غفلة عن الفرنسيين . غير أن هؤلاء علموا بذلك ،  
فامتنعوا عن الخروج من مصر ، وهياؤوا أنفسهم  
ومعداتهم للمقاتلة .

٢ - كان الخدم والهمج يسبون الفرنسيين ، في  
مواجهتهم ، بنير أى اعتبار لهم ، فكشفوا نقاب الحياء  
معههم وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية . ولم  
رصد الجبرتي أى واقعة تشير الى انفعال الفرنسيين من  
هذا التحرش والاستفزاز والرد عليه بأى صورة .

٣ - قامت شرذمة من الناس ، وانضم اليهم العامة والأوباش والحشرات بنهب الخشب والنحاس وغيره من أملاك الفرنسيين .

٤ - تجمع العامة والأوباش والحشرات ( بالفاظ الجبرتي ) ومعهم العصي والنباييت وبعض الأسلحة ، فقال لهم نصوح باشا ( العثماني ) اقتلوا النصاري وجاهدوا فيهم . فكان العثمانيون هم الذين أثاروا المسألة الدينية والنعرة الطائفية ، وهو ما أدى بالعامّة الى القبض على الفرنسيين واليهود والنصارى وتقديمهم الى الكتخندا العثماني ليقتل منهم من يشاء ظلما ، كما دفع بعض العامة الى قتل الفرنسيين .

٥ - ضرب الفرنسيون المدينة بالقنابل والمدافع ، فاضطرب الناس وطلبوا الأمان ، ولما حاول شيوخهم الصلح قالوا في ذلك ان العثمانيين هم الذين هيجوا العامة وأثاروا الفتنة . لكن العامة ضربوا المشايخ وأهانوهم ورفضوا الصلح ، مع أنهم بلا عدة أو عتاد .

٦ - كان ممن يثير الفتنة رجل مغربي ، لأنه كان يجد في هذه الفتنة فرصته للتآمر على الناس ، فضلا عن النهب والسلب والخطف ، وسبى النساء .

٧ - رأى المصريون من العثمانيين وجنودهم من  
العسف والظلم ما جعلهم يننون بالشكوى ويجأرون من  
الضغوط ، ويتمنون عودة الحكم الفرنسى .

٨ - لم يصف الجبرتى ما حدث بأنه ثورة ، وانما  
قال انها فتنة وهياج ( هوجة ) .

ذلك عما يقال انه ثورتان ضد الاحتلال الفرنسى،  
فماذا عن اغتيال كليبر ؟

## محاكمة سليمان الحلبي

(ح) يقول الجبرتي عن وقائع محاكمة سليمان الحلبي ، قاتل كليبر قائد الجيش الفرنسي بعد نابليون ، ان الفرنسيين ، ألفوا في شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث : الفرنسية والتركية والعربية . . . . ( و ) رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام ، من هؤلاء الطائفة ( أي الفرنسيين ) الذين يحكمون العقل . . . وكيف وقد تجارى ( اجتراً ) على كبيرهم . . . رجل آفاقي ( آفاق ) أهوج ، وغدره ( قتله ) وقبضوا عليه ، وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثرا عليه ووجدوا معه آلة ( أداة ) القتل مضمخة بدم سارى عسكريهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ( قضاء ) ومحاكمة ، وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام ، مرة بالقول ومرة بالعقوبة ، ثم أحضروا

من أخبر عنهم وسألوهم على انفراد ومجتمعين ، ثم نفذوا الحكومة ( الحكم ) فيهم بما اقتضاه التحكيم ( الحكم ) . . . بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من فعل أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون ، وقتلهم الأنفس وتجاريتهم ( اجترائهم ) على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية » .

« وصورة ترجمة الأوراق المذكورة : بيان شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر ( تقرير الصفة التشريحية باللفة القضائية المتداولة حالا ) . . . ( المحرر بواسطة ) . . . باش حكيم ( حكيم أول ) والجرايحي ( الجراح ) . . . الذى صار مرتبة باش جرايحي ( جراح أول أو كبير الجراحين ) . . . انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر ( بعد الظهر بساعتين ) الى نيت سارى عسكر العام فى الأزبكية بمدينة مصر . . . ( لأننا ) سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التى كانت تنخب ( تفيد ) أن سارى عسكر العام كليبر انغدر وقتل ( قتل غدرا ) . . . فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد ، وجروحاته كانت أربعة . . . أول فحص ( استجواب ) سليمان الطلبى . . . بدى الفحص بحضور سارى عسكر مينو . والفحص صار ( حدث )



بواسطة ٠٠٠ كاتم سر سارى عسكر العام ، ومحرر من يد ( أى بسكرتارية ، كاتب التحقيق ) ٠٠٠ سئل ( المتهم ) عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة ، فجاوب أنه يسمى سليمان ، ولادة بر الشام ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، ثم صنعتة كاتب عربى ، وكانت سكنته ( سكناه ) فى حلب ٠٠٠ وجاوب ( أجاب ) بأنه من ملة محمد ( أى مسلم ) « • تلى ذلك بيان تفصيلى عن استجواب المتهم ، بنفس المنهج الذى يتبع بواسطة النيابة العامة فى التحقيقات المعاصرة • وجاء ضمن هذا الاستجواب « فلما كان المتهم ( المتهم ) لم يصدق فى جواباته ( اجاباته ) أمر سارى عسكر أنهم يضربوه حكم عوائد البلاد فحالا انضرب ( فضرب على الفور ) لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح ( يقبول الحق ) فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد ٠٠٠ ( فقال انه حضر من غزة لأجل أن يقتل سارى عسكر العام ٠٠٠ (و) أنه أرسل من طرف أغات البنكجيرية ( العثمانيين ) وأنه حين رجع عساكر العثملى من مصر الى بر الشام أرسلوا الى حلب بطلب شخص يكون قادرا على قتل سارى عسكر العام الفرنساوى ، ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة ( هذا القتل ) أن يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم

( أى يقدموا له مكافأة نقدية ، ومرتبة اجتماعية عالية ) ٠٠٠ ولأجل ذلك تقدم هو وعرض روحه لهذا ( أى عرض نفسه لواقعة قتل كليبر ) ٠٠٠ وأنه ٠٠ سكن فى الجامع الأزهر ٠ وهناك شاف ( رأى أو قابل ثلاثة من الحلبيين ذكر أسمائهم ) فبلغهم على مراده ( عن هدفه ) فهم أشاروا عليه أنه ( أن ) يرجع عن ذلك لأن ( لأنه غير ممكن ) ٠٠ وأنه ( فى يوم القتل ) فتبعه ( أى تبع كليبر ) لحين ما غدره ( حتى قتله ) ٠ ثم انختم ( وقع ) بامضاء سارى مينو ( والمحقق والكاتب ) ثم انقرأ (الاستجواب) على المتهم (المتهم) ، وهو أيضا خط اسمه ( أى وقع على المحضر ) بالعربى ٠٠٠ (تلى ذلك فحصى أى استجواب الثلاثة مشايخ بذات الأسلوب المتبع فى التحقيقات فى الوقت الحالى ، وقال أحدهم أن سليمان « قال انه كان مراده يغازى ( قصده أن يجاهد ) فى سبيل الله ٠ وأن هذه المغازاة هى قتل واحد نصرانى ولكن ما أخبر ( لم يقل ) باسمه ، وأنه قصد ( استهدف أن ) يمنعه بقوله ان ربنا أعطى القوة للفرنساوية ، ما أحد يقدر يمنعهم ( من ) حكم البلاد » ٠

بعد ذلك يورد الجبرتى القرار القاضى بانشاء محكمة لمحاكمة المتهمين فيقول عنه « تأسيس ( المادة

الأولى) أن ينشأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا (يحاكموا) على الذين غدروا ( قتلوا ) سارى عسكر كليبر ... ( المادة الثانية ) القضاة المذكورون يكونوا تسعة وهم ... ( وفيهم تعيين محام للمتهم ووكيل للدعاء ... ثم تعيين سكرتير المحكمة ، وموعد لانعقادها ) « .

تلى هذا ما يقول الجبرتي انه « شرح اجتماع القضاة ( أى بيان وقائع جلسات المحاكمة ) ... ( فقد اجتمعت المحكمة ) لأجل قضاء شريعة قتل سارى عسكر ... كاتم السر .. حلف ( اليمين ) كما هى العوائد ... والسكينة ( السكين ) التى وجدت مع القاتل ... تبقى عند كاتم السر ( كما تكون الاحراز لدى أمين السر فى المحاكمات المصرية ) ... ( ثم بعد ذلك سماع أقوال الشهود جميعا بذات الأسلوب الذى يتم حالا فى كل المحاكمات الجنائية ) ، وأعيد فحص (استجواب) سليمان الحلبي فقال « انهم (العثمانيون) كانوا وصوه ( أوصوه ) أنه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وأن لا يعطى سره لأحد كليا ( أبدا ) بل يوعى لروحه ويكسب ( يفتنم ) الفرصة فى قضاء شغله ( انهاء مهمته ) لأنها دعوة ( مهمة ) تحب السر والنباهة ... وهو ما دعاهم ( المقرئين الحلبيين الذين سبقت

(الإشارة إليهم) لمساعدته ، لأنه كان يعرفهم بليدين  
 (بلد أم) . . . وأنه ما أخذ ( لم يأخذ ) دراهم (نقودا)  
 من أحد في مصر لأن الأغوات ( الأتراك ) كانوا أعطوا  
 له كفايته . . . ( ثم قال ) وأما من قبل ( جهة ) الأربعة  
 مشايخ ( قراء ) المذكورين . . أنه كان قال لهم كل شيء  
 لأنهم من أولاد بلاده ، ثم حقق ( أكد ) لهم انه ناوى أن  
 يغازى فى سبيل الله . . . ( وأضاف ) أن أحمد آغا  
 ( العثماني ) هو من جملة أغوات الوزير . . وأنه ( أى  
 سليمان ) شكاه من ابراهيم باشا متسلم ( حاكم ) حلب  
 الذى كان يظلم أباه الذى يسمى الحاج محمد أمين ، بياع  
 ( تاجر ) السمن ، حططوه ( فرضوا عليه ) غرامات  
 زائدة ، ثم وقع فى عرضه . . وأن الأغا . . قال  
 له . . انه ما ( لن ) يقصر ، يوصيه ( أى يوصى ) ابراهيم  
 باشا ( فى راحة أبيه ) والد سليمان ( ولكن بشرط أنه  
 يروح يقتل أمير الجيوش الفرنسية ) . ثم فى ثالث  
 ورابع يوم كرر عليه . . هذا السؤال ، وحالا أرسله الى  
 ياسين آغا فى غزة ، لأجل أن يعطى له مصروفه . . .  
 ( تمت بعد ذلك مواجهة المتهمين ببعضهم ، بنفس  
 الأسلوب المنصوص عليه فى قانون الاجراءات  
 الجنائية ) ثم حدث استجواب لباقي المتهمين ( بما يقول  
 عنه الجبرتى فحصى ) . . . وأثناء استجواب المتهم

مصطفى أفندي ( الذى صدر الحكم ببرأته ) قيل له . .  
 هل انه ما يعلم ( من ) القرآن الا مشايدده ( يقصدون  
 الأجكام الشديدة الخاصة بالقتل ) فجاوب نعم ، سئل هل  
 أن القرآن يرضى بالمغازاة ويأمر بقتل الكفرة ، فجاوب  
 انه ما يعرف ايش هي ( ما هي ) المغازاة ( المجاهدة )  
 التى القرآن ينهى عنها . سئل هل يعلم مشايدده . . .  
 فجاوب ( أجاب ) . . . واحد اختيار مثله ( عادى شأنه )  
 ما له دعوة فى هذه الأشياء ، بل انه يعرف أن القرآن  
 ينهى عن المغازاة وأن كل من قتل كافرا يكسب أجرا . .  
 ( ثم أضاف ) وأما هو ( أى المتهم مصطفى ) يظن أن  
 شرف الفرنساوية هو من شرف الاسلام ، واذا كان  
 القرآن يقول غيره شيئا هو . (فهو) ما له علاقة » .

بعد ذلك يذكر الجبرتي مرافعة الادعاء تفصيلا ،  
 وفيها جاء « . . أهالى مصر . . كانوا محرومين شفقات  
 ومكارم نصيرا ( شفقة واکرام من ينصرهم ) ، وفى  
 دقيقة ( لحظة ) الذين هم أسارى ومجروحين العثمانية ،  
 هم مقبولين ومرعيين فى دور ضيوفنا ( أى أنه مرضى  
 عنهم مراعى أمرهم منا ) . . . وسليمان الحلبي شب  
 ( شاب ) مجنون ( لعله يقصد طائش ! ) وعمره أربعة  
 وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا

( صاحب سوابق جنائية ) ٠٠٠ وباعتماده أن المسمى  
 منه جهاد وتمليك الغير المؤمنين ( قتل غير المؤمنين ) ٠٠٠  
 ( و ) انما ضابط ٠٠ أقبضه ( سلمه ) الدراهم ٠٠٠  
 وأظن أن يليق أن تصنعوا لهم ( تحكموا على المتهمين )  
 من العذابات العادية ببلاد مصر ٠٠٠ ( ثم يضيف الجبرتي  
 بعد ذلك ) ٠٠٠ « الفتوى ( الحكم ) الخارجة من طرف  
 ديوان القضاة ( المحكمة ) ٠٠٠ واكى يحكموا ٠٠ أمر  
 سارى عسكر رينيه بحضور المتهمين ( المتهمين )  
 المذكورين قدام ( أمام ) القضاة ، وهم من غير قيد  
 ولا رباط ( بغير قيود كما هو الحال فى القوانين  
 المعاصرة ) بحضور وكيلهم ( محاميهم ) والأبواب مفتحة  
 ( مفتوحة ) قدام ( أمام ) كامل الموجودين ( أى فى  
 علانية ) ٠٠٠ ( ثم حدث أن ) ٠٠ قفل المحل ( المكان )  
 عليهم ( على القضاة ) لأجل يستشاروا بعضهم ( للمداولة  
 بينهم ) من غير أن أحدا يسمعهم ( دون حضور غريب  
 عنهم ) ٠٠٠ ( ثم ) أفتوا ( أى قضوا بالأحكام ) ثم ان  
 ( أى ان ) هذه الفتوى الشرعية ( الحكم القانونى )  
 تكتب ٠٠٠ وينطبعوا ( وتطبع ) باللغة التركية والعربية  
 والفرنسية ( أى ينشر الحكم ) ٠٠٠ ثم ان القضاة حطوا  
 خط يدهم بأسمائهم ( أى وقعوا ) برفقة ( ومعهم توقيع )  
 كاتم السر ( سكرتير المحكمة ) ٠٠٠ ثم هذه الشريعة

والفتوى ( الحكم أو الشرع ) انقرت وتفسرت ( قرئت  
وشرحت ) على المذنبين ٠٠٠ « صفحة ١٢١ - ١٤٠ .

يضيف الجبرتي بعد ذلك « هذا آخر ما كتبوه في  
خصوص هذه القضية رسموه وطبعوه بالحرف الواحد ،  
لم أغير شيئا ٠٠٠ اذ لست ممن يحرف الكلم ٠٠ ( وبعد  
تشجيع جنازة كليبر ) « ٠٠ أحضروا سليمان الحلبي  
والثلاثة المذكورين فأمضوا فيهم ما قدر عليهم ٠٠٠ «  
صفحة ١٤٠ .

« وفي يوم ٠٠٠ حضر سارى عسكر عبد الله جاك  
مينو وقائم مقام ٠٠ وطافوا ٠٠ وأرادوا حفر (بعث)  
أماكن التفتيش على السلاح ونحو ذلك ، ثم ذهبوا  
فشرعت المجاورون به ( بالجامع الأزهر ) فى نقبل  
أمتعتهم ونقل كتبهم وأخلاء الأروقة ٠٠٠ وكتبوا  
أسماء المجاورين فى ورقة وأمروهم أن لا يبيت عندهم  
غريب ، ولا يؤوا اليهم (أفاقا) مطلقا ٠٠٠ ثم ان الشيخ  
الشرقاى والمهدى والصاوى توجهوا فى عصريتها (عصر  
ذلك اليوم ) عند كبير الفرنسيين واستأذنوه فى قفل  
الجامع وتسميره ( وضع المسامير على أبوابه ) ، فقال  
بعض القبطه ( القبط ) الحاضرين للأشياخ (الشيوخ)  
هذا لا يصح ولا يتفق ( أى لا يجوز ) فعنق ٠٠ الشيخ

الشرقاوى • وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية  
فان للأزهر سعة ، لا يمكن الاحاطة بمن يدخله ، فربما  
دس العدو ( العثماني ) من يبيت به ، واحتج بذلك على  
انجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ،  
ولا يمكن الاحتراس من ذلك • فأذن كبير الفرنسيين  
بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا (الذى فى نفسه) ،  
فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات » -  
صفحة ١٤١ .

الذى يستفاد مما كتبه الجبرتى نصا - على الرغم  
من اضطرابه وركاكته - ما يلى :

١ - سليمان الحلبي أفاق أهوج (بتعبير الجبرتى) ،  
أى انه ليس بطلا وطنيا أو مجاهدا مسلما • كما تصوره  
بعض الروايات المختلطة ، التى تزيف الواقع وتحرف  
التاريخ ، وهى تركز الى ثقافة الاشاعات التى تبني على  
الاشاعة الخاطئة واقعا لا أساس له ، وتقدم على الرواية  
المختلقة تاريخا ليس له سند •

٢ - عندما رفض الفرنسيون الخروج من مصر ،  
بناء على اتفاق تم على ذلك مع العثمانيين ، بعدما تحقق  
لهم أن هؤلاء ( العثمانيين ) يدبرون مكيدة مع الانجليز



لمحاصرة الفرنسيين في عرض البحر ( المتوسط )  
وابادتهم ، لجأ العثمانيون الى تدبير مؤامرة لاغتيال  
كليبر قائد الجيش الفرنسى فى مصر .

٣ - توجه سليمان الحلبي الى أحد أغوات الوزير  
العثمانى يشكو له من حاكم حلب الذى يضطهد والده  
تاجر السمن ، ويفرض عليه أموالا طائلة ، فاصطاده  
الأغا ووعدده ، بالتوسط لدى حاكم حلب لوقف اضطهاد  
والده ، شريطة أن يقوم هو باغتيال كليبر . قائد  
الفرنسيين ، على أن يكافئه عن ذلك بمعية مالية ، فضلا  
عن الواجهة الاجتماعية التى سوف يضيفها عليه .

٤ - بعد الحاح قبل سليمان الحلبي ذلك ، فأعطى  
قدرا من المال لتنفيذ مهمة القتل .

٥ - حضر سليمان الى مصر وتوجه الى الجامع  
الأزهر حيث يوجد المجاورون ، وقد كان آنذاك مأوى  
لأقربى غريب ، فقابل أربعة من أبناء بلدته ، وحادثهم في  
مهمته ، غير أنه لم يطلب منهم عوناً لما يعرفه عنهم من  
بلادة .

٦ - تتبع سليمان الحلبي كليبر حتى استطاع  
قتله . وقد ضبط اثر القتل فاعترف به وأقر باسمه

المجاورين من ابناء بلدته الذين حادثهم فى واقعة اغتيال  
كليبر .

٧ - أجرى تحقيق ، وفقا لأصول التحقيقات  
المرسومة فى الوقت الحالى ، فى قوانين الاجراءات  
الجنائية ، فى كل البلاد المتحضرة .

٨ - صدر قرار بتشكيل محكمة لمحاكمة المتهمين ،  
وفيهما تعيين دفاع عنهم . وانعقدت المحكمة فى علانية ،  
وتم تدوين كل الاجراءات بواسطة سكرتير أو أمين سر  
المحكمة . وخلا القضاة للمداولة ثم أصدروا الحكم .  
وهى نفس الاجراءات المبينة فى كل كتب الاجراءات  
المدنية والجنائية فى العصر الحالى .

٩ - أثبت فى التحقيق أنه تم ضرب المتهم سليمان  
الحلبى ، وفقا لموائد البلاد ، فشرع يقر بالحقيقة .  
فى حين أن سلطات التحقيق ، فى الوقت الحالى ، وفى  
كثير من البلاد ذات النظم الشمولية ، تمتنع عن اثبات  
أى تعذيب يكون قد لحق بالمتهم ، وترفض احواله الى  
الطب الشرعى لبيان اصاباته وسببها ، حتى لا يؤثر  
ذلك سلبا على اعترافاته ، فيزعزع يقين المحكمة عن  
الاقتناع بها .

١٠ - طلب الادعاء أن يكون الحكم على المتهمين وفقاً للمعواتد المصرية ، وهى أساليب وعادات أوجدتها العثمانيون . مثل الخوزقة ( أى الوضع على الخازوق ) والتوسيع ( أى قطع جسم الانسان من وسطه ) أو السلخ ( أى سلخ جلده من كل جسمه ) أو التمزيق ( أى ربط كل من يديه ورجليه بأربعة أحصنة تضرب بشدة فيجربى كل منها فى اتجاه ، مما يؤدى الى تمزيق جسم المذنب أو الضحية ) .

وصدر الحكم فعلاً باعدام سليمان الحلبي بالوضع على الخازوق . وأثبتت الجبرتى تنفيذ الأحكام فى سطرين ، دون أن يبدي فزعا أو جزعا أو هلعاً ، أو يستغرب العتوبة أو يستنكر التنفيذ ، لأن هذه العقوبات ، وأسلوب تنفيذها ، كان أمراً شائعاً جارياً ، قبل عصره وأثناء حياته .

١١ - كانت اجراءات التحقيق ، ونظام المحاكمة ، أمراً عجباً لدى الجبرتى ، المؤرخ الأزهرى ، وبطبيعة الحال كان وقعها أشد عجباً لدى غيره ، وهو الأمر الذى دفع الناس الى التساؤل عنها ، ودفع الجبرتى الى شرحها بالتفصيل ، كأنها أعجوبة أو نادرة ، وهو يستغرب قبل ذكر التفاصيل من أن الفرنسيين لم يقتلوا القاتل

وشركائه فور اقراره . وهو ما يعنى أن هذا الأسلوب ، فى القتل بمجرد الاقرار ، أو بدون اقرار ، كان هو الأسلوب المتبع فى مصر ، خلال العصر العثمانى والمملوكى . يؤكد ذلك أن الجبرتى حرص على أن يثبت أن « أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون يجتروون على ازهاق الأرواح لمجرد ما فيهم من شهوة حيوانية » .

١٢ - لم يوصف المتهمون بأنهم مذنبون الا بعد صدور الحكم ، وذلك مما يفيد اعمال القاعدة القانونية التى تتأدى فى أن « المتهم برىء حتى تثبت ادانته » ، وهى عكس القاعدة التى تقوم عليها النظم الشمولية والتى مؤداها أن « كل شخص مذنب أو مدان حتى يثبت برأته » .

١٣ - قاله أن الجهاد والمفاظة ( من الغزو ) تكون بالقتل ، وبقتل الكفار ، وأن من يقتل كافرا انما يؤجر على ذلك ( من الله ) قاله بدأها العثمانيون ، ولقنوها لسليمان الحلبي كقطاع لجريمتهم و كحافز للقتل ، لكن ، لا سليمان ولا مصطفى ( الذى رىء ) قدم أسانيد من القرآن أو دلائل من السنة عليها ، هى من ثم مجرد قول سماعى ورأى اشاعى .

١٤ - استخدم الجبرتي في مفرداته لفظ الحكومة بمعنى القضاء ، والتحكيم بمعنى القضاء كذلك ، وهو الاستعمال الصحيح للفظين ، ذلك أن لفظ الحكم في القرآن يعنى القضاء فى خصومة ، كما أن لفظ التحكيم يفيد هذا المعنى . فحكومة النبى ﷺ كانت تحكيما ، بحيث يلجأ اليه الخصوم طائعين مختارين ، وينفذون الحكم طائعين مختارين ، وهو مفهوم غير المفهوم الصادر عن المحاكمة التى قضت فى واقعة اغتيال كليبر ، غير أن الجبرتي كان أسير الاستعمال الدارج والسابق للفظين منذ عهد ما قبل الاسلام حتى عصره هو .

ومن جانب آخر ، فقد استخدم الجبرتي لفظ الشريعة أكثر من مرة للإشارة الى القانون أو النظام ، دون أن يرى أن اللفظ يقتصر على الشريعة الاسلامية وحدها .

هذا الذى سلف وصفه تفصيلا ، عن محاكمة قاتل كليبر وأعوانه ، يدل بوضوح لا لبس فيه ، ويقطع بصراحة لا شائبة عليها ، أنه لم تكن توجد فى هذا العصر وقبله ، أى محاكم ، ولا نظم للمحاكمات ، ولا اجراءات للتقاضى ، على عكس ما يشيع الشائعون ويرجف المرجفون ، بل كان القتل يتم بلا سبب والاعدام

يحدث بغير محاكمة ، كما ذكر الجبرتي . وكما سوف يذكر ونقله عنه فيما بعد .

كذلك فان الجبرتي استعمل لفظ الفتوى في الاشارة الى الحكم . مما يفيد اختلاط معنى الافتاء بمعنى القضاء في ذهنه وفي الفهم الاجتماعي عامة .

نتيجة لعدم وجود نظام للمحاكم ، فان الفرنسيين بدأوا في اقامة هذا النظام بصورة عصرية . فلقد سلف بيان أن نابليون رفض قبول وجود من كان يسمى قاضي عسكر ، وهو شخص رومي يعين من قبل السلطنة العثمانية ليرأس القضاة في مصر ، وهو الذي يعينهم . وقد طلب نابليون من المشايخ أن ينتخبوا بدلا منه شيئا متضلعا يكون مصرياً ابن مصرى في اتجاه لتمصير القضاء والادارة في مصر . وتلى ذلك ما يقول عنه الجبرتي « شرعوا في جلسة الديوان ، وصورته أنه اذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل وصحبته المترجمون ، فيقفون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير . . . ويجتمع أرباب (أصحاب) الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان ، وهو من خشب مقفص وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلافاً لأرباب الحوائج . ويدخلهم بالترتيب ، الأسبق فالأسبق ،

فيحكي صاحب الدعوى قضيته ، فيترجمها له الترجمان ،  
 فان كانت من قضايا الشريعة فاما أن يتمها قاضي  
 الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها الى القاضي الكبير  
 بالمحكمة ان احتاج الحال فيها الى كتابة حجج أو كشف  
 من السجل . . . وان كانت من غير جنس القضايا  
 الشرعية كأمور الالتزام أو نحو ذاك . . . يكتب الكاتب  
 العربي . . . في سجل كل ما قال المدعى والمدعى عليه .  
 وما وقع في ذلك من المناقشة ، وربما حكم قاضي الديوان  
 في بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية . ومدة الجلسة  
 من قبل الظهر بثلاث ساعات ( أى حوالى التاسعة صباحا )  
 الى الأذان ( أذان الظهر ؟ ) أو بعده بقليل ، بحسب  
 الاقتضاء . . . ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان  
 التسعة ، أربعة عشر ألف فضة في كل شهر ، عن كل يوم  
 ( أى بواقع كل يوم ) أربعمئة نصف فضة . وللقاضى  
 والمقيم ( الذى يتولى قيد القضايا ) والكاتب العربى  
 والمترجمين وباقى الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم  
 وتغنيهم عن الارتشاء » - صفحة ١٤٥ .

وتبع ذلك أن « قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشى  
 بقضاء مصر ، . . . وتقليد القضاء بدمياط لأحمد  
 أفندى عبد القادر ، وابييار العلامة الشيخ رضوان نجا ،

ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن الرشيدى « .  
صفحة ١٥١ .

بهذا بدأ نظام جديد للقضاء ، كان غريبا بغير شك  
على الناس ، بدليل ما يلحظ فى طريقة وصف الجبرتى  
للمحكمة ( التى يسميها ديوان ) ولطريقة انعقاد  
الديوان ، ونظام نظر القضايا ، وتسجيل كل ما يجرى  
فى كل قضية واحالة القضايا التى تحتاج الى كتابة  
حجج أو كشوف الى قاض آخر ، وأخذ رأى القاضى  
العضو فى الديوان فى المسائل الشرعية التى تعرض  
فى القضايا .

والمهم فى هذا النظام أنه قصد تمصير القضاء ،  
بإشتراط أن يكون القاضى مصرياً ابن مصرى ، وأبطل  
نظام قاضى عسكر الرومى ، هذا فضلا عن تخصيص  
مرتبات مجزية لأعضاء الديوان ، والقضاة ، والكتبة ،  
والحجاب ، مما يغنيهم عن الرشوة من الخصوم وأصحاب  
القضايا .



## الخطاب الفرنسي للمصريين

قال نابليون بونابرت : لقد حكمت شعبا مسلما غادعيت، الاسلام ، وحكمت شعبا مسيحية فانتحلت الكتلثة ، ولو حكمت شعبا يهوديا لأعدت بناء هيكل سليمان . وهذا القول ، يعنى أن نابليون كان يعرف تماما قواعد اللعبة ، فيما يتعلق بالدين والسياسة ، هذه القواعد التى يكاد يلعبها ، ان بكفاية وان بقصور أغلب الحكام وأكثر الساسة ، وان لم يعبروا عن ذلك بدقة ووضوح ، كما عبر نابليون .

ومقتضى ذلك ضرورة متابعة الخطاب الفرنسى للمصريين ، منذ بدأت الحملة الفرنسية وحتى انتهت . ذلك بأن هذا الخطاب لم يكن واحدا ، ولم يستمر ثابتا ؛ انما تدرج وتنوع ، وتغير وتطور ، وفقا للأحداث وتبعا للمناسبات ، وانه كان يندظمه على الدوام خط دينى واضح .

يقول الجبرتي : « وردت الأخبار بأن الفرنسيين وصلوا الى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا الى فوة ونواحيها ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده ، وهم العقلاء ، وقد كانت الفرنسيين حين حلولهم بالاسكندرية كتبوا مرسوما ( منشورا ) وطبعوه وأرسلوا منه نسخا الى البلاد التي يقدمون عليها ، تطميناً لهم . ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى ( الأسرى ) الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهم ، وحضر منهم جملة ( جماعة ) الى بولاق ، وذلك قبل وصول الفرنسيين بيوم أو يومين ، ومعهم منه عدة نسخ ، ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم من كفار مالطة ويعرفون باللفات ، وضورة ذلك المكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه . من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية ( المساواة ) السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية ، بونا بارت ، يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد ( بعيد ) الصناجق ( المماليك ) الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون ( يعاملون ) بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ،

ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدي ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، واخرنا ( أرجأنا ) من مدة عصور طويلة (؟) هذه الزمرة المماليك المجلوين من بلادالبازة والجراكسة ، يفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها •

فأما رب العالمين القادر على كل شيء فانه قد حكم على انقضاء دولتهم • يا أيها المصريون : قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف ( المكان ) الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفتريين اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم • وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله ، وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط • وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبو ( يستحقوا ) أن يملكوا مصر وحدهم ويختصون بكل شيء أحسن فيها ، من الجوارى الحسان والخيول العتاق والمساكن المفرحة ، فان كانت الأرض المصرية التزاما ( أى حقا ) للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ، ولكن رب العالمين رؤوف

وعادل وحليم ، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا  
لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول فى المناصب  
السامية وعن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء  
والفضلاء والعقلاء بينهم ( بين المصريين ) سيدبرون  
الأمر وبذلك يصلح حال الأمة كلها ، وسابقا ( قديما )  
كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة  
والتاجر المتكاثر ( المتاجر الكثيرة ) وما أزال ذلك كلها  
إلا الظلم والطمع من الممالك - أيها المشايخ والقضاة  
والأئمة والجرجية ( الشوربجية ) وأعيان البلد ، قولوا  
لأمتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ،  
وأثبتت ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى ( روما )  
وخرّبوا فيها كرسى البابا انذى كان دائما يحث النصارى  
على معارضة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطرّدوا  
منها الكورلرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب  
منهم مقاتلة المسلمين .

ومع ذلك ( فان ) الفرنساوية فى كل وقت من  
الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان  
العثمانى وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه .

ومع ذلك فان الممالك امتنعوا من ( عن ) اطاعة  
السلطان غير ممثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلا الا لطمع

أنفسهم • طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعالى ( تعلقوا ) مراتبهم • طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين (منحازين ) لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا يالأكثر ( أكثر ) تسارعوا إلينا بكل قلب • لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على الممالك فى محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر ••• الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وثنائفهم ، وعلى كل أحد (شخص) من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة • والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك و ( لأنه ) أصلح حال الأمة المصرية •

( وقد كتب التاريخ بتقويم الثورة الفرنسية ، فأضاف الجبرتى يقول : يعنى فى آخر شهر محرم سنة هجرية • ( ١٢١٣ هـ ) • صفحة ٤ - ٥ •

وبعد دخول الفرنسيين الى مصر ( القاهرة ) جمعوا المشايخ والأعيان والتجار والعلماء وقرأوا عليهم كتابا جاء فيه « ••• بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد ، وكان يجلب اليه المتاجر (التجارة)

من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة  
والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا . أخذت من  
أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه  
الصفات طمعت الأمم في تملكه ، فملكه أهل بابل  
وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن . الا أن دولة  
الترك شددت في خرابة لأنها اذا حصلت الثمرة  
قطعت عروقها ، فلذلك لم يبقوا بأيدي الناس الا القدر  
اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب  
الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم . ثم ان طائفة  
الفرنساوية بعدما تمهد أمرهم وبعد صيتهم بقيامهم  
بأمر الحروب اشتاقت نفوسهم لاستخلاص ( انقاذ )  
مصر مما هي فيه ، وراحة أهلها من تغلب هذه الدولة  
المفعمة جهلا وغباوة ، فقدموا وحصل لهم النصر . ومع  
ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ولم يعاملوا الناس  
بقسوة ، وان غرضهم تنظيم أمور مصر واجراء ( انشاء  
أو تطهير ) خلعانها التي دثرت . ( اندثرت أو ردمت )  
ويصير لها طريقان ، طريق الى البحر الأسود وطريق  
الى البحر الأحمر ، فيزداد خصبها وريعتها ، ومنع القوى  
من ظلم الضعيف ، وغير ذلك ، استجلابا لخواطر أهلها  
وابقاء للذكر الحسن . فالمناسب من أهلها ترك الشغب ،  
واخلاص المودة . وأن هذه الطوائف المحضرة ( الحاضرة )

من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جلية ، لأنهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق ( ما يحسن ) صنعه . . . » ثم يضيف الجبرتى قائلا عن نفسه « ولم يعجبني فى هذا التركيب ( البيان ) الا قوله ( عن الترك ) المقعمة جهلا وغباوة . . . وقوله . . . ومع ذلك لم يتعرضوا ( أى الفرنسيون ) لأحد . الى آخر العبارة » صفحة ٢٣ ، ٢٤ .

وهذا الخطاب الأول من الفرنسيين للمصريين  
يتضمن البنود التالية :

١ - التأكيد على أهمية الاسلام ، وأنهم ( الفرنسيون ) غير معادين للمسلمين ، ولم يفتروا مصر لازالة الاسلام ، كما قيل المصريين ( ربما من الممالك وحواشيهم ) . وفى هذا المعنى ، فان المنشورات التى كانت توزع على البلاد قبل وصول الجيش الفرنسى اليها ، تضمنت فى أولها البسملة ، ونفى الولد والشريك عن الله ، والدعوة الى استمرار اقامة الصلاة فى الجوامع .

٢ - اللجوء الى الفكر الجبرى السائد ، والفهم القدرى الدارج ، لفرض استسلام المصريين للفتو الفرنسى ، قولا بأن « رب العالمين أمر بانقضاء دولة المماليك » ، فاذا قرئ لدى الناس أن هذا قضاء الله ، فانهم لا شك سوف يخضعون له ، ولا يقاومونه ، اذ لا تجدى أى مقاومة فى تغيير القضاء أو تبديل القدر ( فى الفهم الدينى التقليدى الجبرى ) .

وهذه الفكرة الجبرية القدرية ، سوف تتسع وتزيد فى الخطاب الفرنسى ، كما سيلى بيانه .

٣ - الحديث عن مصر والمصريين . فذلك هو ابتداء تأسيس فكرة الدولة الوطنية ، تلك الدولة التى كانت قد انمحت من فكر المصريين وفهمهم ، ربما منذ الغزو الفارسى لها سنة ٥٢٥ ق.م . وخلال العهد المسيحى كانت مصر جزءا من العالم المسيحى ، واذا كانت للكنيسة المصرية مواقف وطنية واتجاهات استقلالية ، فقد كان المركز والأساس فى ذلك هو الكنيسة الأرثوذكسية ( المستقيمة ) وليس مصر ذاتها كوطن . وفى العصر الاسلامى كان المسلمون فى البداية هم قبائل الأعراب التى وقع بها الغزو العربى ، بينما كان المصريون يسمون بالقبط ، نسبة الى لفظ Egypt



الذى أطلقه الاغريق على مصر • وظلت غالبية المصريين مسيحية ( قبطية ) حتى بدأ التحول الجماعى الى الاسلام ، ابان الحكم الفاطمى ( المغربى البربرى الاسماعيلى ) ، ومن ثم صار الناس مسلمين من جانب وأقباطا من جانب آخر • وأثناء الحكم العثمانى الذى بدأ سنة ١٥١٧ أصبح الجميع رعايا عثمانيين • ولهذا فان توجيه خطاب الى أبناء مصر بلفظ المصريين ، لا الرعايا ، ولا المسلمين والأقباط ، يعد خطأ جديدا بغير شك ، كما أن الخطاب عن مصر وحدها ، هو مفهوم جديد ، وارد ووافد •

٤ - تحديد مبدأ المساواة كأساس بين الناس ، بحيث لا تكون المفاضلة بينهم الا بالعقل والعلم والفضائل ( الخلق ) ، هو مفهوم جديد لدى المصريين الذين - على الرغم من تأكيد القرآن والاسلام عليه - درجوا أزمانا على الاحساس بالمذلة والمهانة ، وعدم المساواة ، بالأعراب والترك والمماليك وحواشيهم • ومبدأ المساواة بهذا المعنى هو بلا شك أساس الدولة المدنية المعاصرة •

٥ - حق المصريين فى التأهل للمناصب السامية واكتساب المراتب العالية ، خطاب مستحدث لهم ، فقد

ظلوا أجيالا بعد أجيال وهم يلزمون الاقتصار على التجارة والفلاحة ، حيث تكون المناصب السامية للغرباء المحتلين وتكون المراتب العالية لغير المصريين من الغزاة والأجانب ، بل وحتى العبيد .

٦ - اثارة التساؤل عن حق المالك في الاستيلاء على مصر ، هو استشارة للتفكير العقلى بدلا من التسليم الجبرى ، قولا أو فهما ، بأن تلك مشيئة الله ، واردة السلطان ، وحكم المقادير . وهذا التساؤل يضع فى مفهوم الناس معنى جديدا بالنسبة اليهم ، مقتضاه أن عليهم أن يتساءلوا عن الحق والسبب الذى يستند اليه أى حاكم فى الحكم .

٧ - المعرفة الواعية الشاملة بتاريخ مصر : فالفرنسيون لا يبلغ بهم اعتزازهم ببلادهم أن ينسبوا اليها كل شيء ، وأن يبتدعوا بها كل تاريخ ، لكنهم يقرون بحقيقة غائبة حتى عن أبناء مصر ، فيذكرون ويؤكدون أن مصر هى الاقليم الحسن الأحسن فى كل الكرة الأرضية ، وأنها أخصب البلاد ، وأن العلوم والصناعة والقراءة والكتابة بدأت منها هى ثم انتشرت فى العالم . هذا وأن خصوبتها ، وثراءها ، هو الذى دفع الأمم الى الطمع فيها ، فتملكتها بابل (الأشوريون) ،

واليونانيون ، والعرب والترك ( العثمانيون ) • وهؤلاء  
الترك شددوا فى خراب مصر ، فأفقدوا الناس  
وظلموهم •

٨ - رسم تخطيط مستقبلى لوضع مصر الداخلى  
والدولى • بتنظيم أمورها ( كما حدث فى الوضع  
الادارى بأكمله ) ، وإنشاء أو تطهير الخلجان ( جمع  
خليج ) وتمهيد طريق الى البحر الأسود ( عبر الشام  
نحو آسيا الوسطى وأوربا الشرقية ) وطريق الى البحر  
الأحمر ( نحو بلاد العرب والبلاد الآسيوية كالهند  
والصين وغيرها ) •

٩ - وضع أسس التعامل الاجتماعى ، بمنع القوى  
من ظلم الضعيف ( وهو تعبير اسلامى ورد فى خطبة  
أبى بكر فور مبايعته بالخلافة ) ، وحق الجميع من  
المصريين فى تولي المناصب ، وجعل أساس المفاضلة هو  
العقل والعلم والفضائل ، بدلا من العلاقات الخاصة  
والروابط العائلية أو الجنسية ، وتقدير مبدأ انتخاب  
الحكام ( الذى يشير اليه الجبرتى بلفظ القرعة ) •  
مثال ذلك : « نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا  
منكم يكون كبيرا أو رئيسا عليكم ... » فقال بعض  
الحاضرين : الشيخ الشرقاوى ، فقال ... ( لا ) وإنما

ذلك يكون بالقرعة ( أى الانتخاب ) فعملوا القرعة بأوراق فطلع الأكثر ( أكثر الأصوات ) على الشيخ الشرقاوى ، فقال ٠٠٠ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس « صفحة ٢٤ »

١٠ - استعمال تعبيرات جديدة ، ترجمة عن اللغة الفرنسية ، أهمها لفظ دولة للإشارة الى معنى التداول أو معنى الدولة المعاصر *Etat, State* ، فيما قيل عن دولة المماليك ( بمعنى الحكم الذى دوول بينهم من اللفظ القرآنى دولة بمفهوم التداول ) وما قيل عن دولة الترك ( يقصد العثمانيين ) وهى دولة بالمعنى المستحدث ، المقابل للفظ الانجليزى *State* واللفظ الفرنسى *Etat*

مما هو جدير بالملاحظة ما ذكره الجبرتى عند سماع الخطاب الذى تلى على كبار المصريين من اعجابه بما جاء فى هذا الخطاب عن الترك من أنهم الجماعة ( الأمة ) المقعمة ( الممتلئة ) جهلا وغباوة ، وما جاء فيه من أن الفرنسيين لم يتعرضوا لأحد ولم يعاملوا الناس بقسوة ؛ وأن فرضهم هو تنظيم مصر ( الى آخر الخطاب الوارد نصه فيما سلف )

والإلحاح على المعنى الدينى فى الخطاب الفرنسى ، واضلح مما سلف بيانه من أن بعض صغار المشايخ

كانوا قد اتجهوا الى مكان الجيش الفرنسى بمنطقة  
المجيزة ، فلما قابلوا نابليون قال لهم « سوف نعمل  
لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية واجراء  
الشريعة » صفحة ١٠ ، أى تطبيق الشريعة . ففكرة  
تطبيق الشريعة لم تجيء على السنة أو فى مطالب  
المشايع ، ولا رفعها أحد من الشعب المصرى ، ولا كانت  
فى الخطاب العثمانى أو الحكم المملوكى ، لكن الذى  
ابتدأها هم الفرنسيون .

وقد اتخذ الخطاب الفرنسى بعد ذاك خطأ دينيا  
بارزا ، من الواضح أنه كان من عمل أو مساعدة بعض  
المشايع المصريين أو المسلمين ، فى مشورة أو خدمة  
الفرنسيين ، وهذا ما لاحظته الجبرتنى نفسه اذ قال  
« كتبوا ( أى الفرنسيون ) أوراقا وطبعوها ،  
وألصقوها بالأسواق ، وهى من ترصيف ( انشاء )  
وتنميق بعض الفصحاء » صفحة ٧٣ .

ما الذى طوره ، ونماه ، هؤلاء الفصحاء ، أو  
أمروا فعبروا عنه ، فى الخطاب الفرنسى - انها فكرة  
الجبرية بالذات ، التى تدعوا الناس الى الاستسلام لما  
هو مقدر عليهم فى ارادة الله الأزلية ، بما لا يمكن أن  
يغيره انسان أو يبدله عمل .

ففى رسالة لبونابرت ، يؤرخها الجبرتى فيقول  
على لسان انقائد الفرنسى « استمروا فى محلكم ووطنكم  
مطمئنين ومرتاحين ، وأخبروا من كان خارجا عن محله  
ووطنه ان يرجع ويقيم فى محله ووطنه ، ومن قبلنا  
( ناحيتنا ) عليكم ثم عليهم الأمان الكافى الحماية التامة  
... ان كل خير يأتى من الله تعالى ، وهو يعطى النصر  
من يشاء » صفحة ٤٩ .

ومن خطاب نابليون الى المصريين بعد غزو يافا  
« سبحان مالك الملك ، يفعل فى ملكه ما يريد - - -  
هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور فرنساوية  
لبندر يافا ( تم ) كل شىء بقضائه ( قضاء الله ) فلا ينفع  
الهروب من القدر المكتوب ... استقيموا عباد الله ،  
وارضوا بقضاء الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله ... »  
صفحة ٥١ - ٥٣ .

وفى كتاب آخر لنابليون ، يرصد الجبرتى قوله  
« السبب فى مجيء هذه العمارة ( الأسطول أو الجيش ،  
ومن هذا اللفظ نحت لفظ الاستعمار » الى هذا الطرف  
( المكان ) العثم ( الرجام ) بالاجتماع على الممالك  
والعربان لأجل ( الذين اجتمعوا على ) نهب البلاد  
خراب القطر المصرى ... هو الرحمان الرحيم المساعد

المعين المقوى ( الذى يقوى ) العاملين الموحدين ، الماحق  
 رأى الفاسدين المشركين ، وقد سبق فى علمه القديم  
 وقضائه العظيم أنه أعطانى هذا الاقليم وقدر وحكم  
 بحضورى عندكم الى مصر لأجل ( من أجل ) تغييرى  
 الأمور الفاسدة ، وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل  
 والراحة ، مع صلاح الحكم « صفحة ٧٩ »

وفى كتاب لنا بليون ( بعد الحركة الأولى ضد  
 الفرنسيين ) « . . نعلمكم أن بعض الناس الضالين  
 العقول ، الخالين من المعرفة وادراك العواقب سابقا  
 ( مسبقا ) أوقعوا الفتنة والشروع بين القاطنين بمصر ،  
 فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة . والبارى  
 سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد ،  
 فامتثلت (ل) أمره ، وصرت رحيمًا بكم شفوفا عليكم . .  
 أيها العلماء والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم  
 بأن الذى يعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال  
 عقله وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه فى  
 هذا العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله تعالى واراادته  
 وقضائه . ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى  
 البصيرة . وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل  
 هلاك أعداء الاسلام . . . على يدى ، وقدر فى الأزل

أنى أجيء من المغرب ( الغرب ) الى أرض مصر لهلاك  
 الذين ظلموا فيها واجراء الأمر الذى أمرت به •  
 ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته  
 وقضائه • وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم  
 صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ، وأشار فى  
 آيات أخرى الى أمور تقع فى المستقبل • وكلام الله فى  
 كتابه صدق وحق ، لا يتخلف اذا تقرر • هذا وثبتت  
 ( ثبت ) هذه المقالات فى أذانكم ، فلتراجع أمتكم  
 جميعا الى صفاء النية واخلاص الطوية ، فان منهم من  
 يمتنع عن الغنى واظهار عداوتى خوفا من سلاحى وشدة  
 سطوته ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر ، يعلم  
 خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، والذى يفعل ذلك  
 ( يظهر الطاعة ويخفى الحقد ) يكون معارضا لأحكام  
 الله ، ومنافق ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام  
 الغيوب • وأعلموا أيضا أنى أقدر على اظهار ما فى  
 نفس كل أحد منكم ، لأننى أعرف أحوال الشخص  
 وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وان كنت لا أتكلم ولا  
 أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم  
 بالمعينة أن كل ما فعلته ، وحكمت به فهو حكم الهى  
 لا يرد ، وأن اجتهاد الانسان غاية جهده ما ( لا ) يمنعه



( يؤيده ) عن ( تغيير ) قضاء الله الذى قدره وأجراه  
على يدي ٠٠٠ « صفحة ٣٨ ، ٣٩ »

هذا خطاب شرقى صرف ، بعيد كل البعد ، عن  
الفكر الغربى فى عصر الحملة الفرنسية ، وفكر  
نابليون بونابرت ، وانما يغلب التقدير بأن من قال  
الجبرتى عنهم انهم بعض الفصحاء ، من المشايخ ، قد  
كتبوه له ، بل وربما أفهموه أن هذا الخطاب وحده هو  
الذى يمنع أى حركة ضد الجيش الفرنسى ، خاصة  
وأن العثمانيين كانوا قد شرعوا يثيرون المقاومة ضد  
هذا الجيش بالركون الى الدين ووصف الفرنسيين  
بالكفر ، وهو ما يشير اليه الجبرتى فيقول نصا « ٠٠ حضر  
هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات ، وهى صورة  
فرمان عليه طرة ( خاتم ) ومكتوب من أحمد باشا الجزائر  
( والى عكا الذى لقب بالجزار لكثرة مجازره بقتل  
الناس من المسلمين وغير المسلمين ) ، وآخر من بكر باشا  
٠٠٠ خطابا للمشايخ ، وذلك كله بالعربى . ومضمون  
ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث  
والآثار ( المأثورات ) المتعلقة بالجهاد ، ولعن طائفة  
الافرنج وانحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ٠٠٠  
فاخذها مصطفى بك كتنخدا وذهب بها الى صارى عسكر

( نابليون ) فلما أطلع عليها قال هذا تزوير من ابراهيم بك ( ثانى اثنين كانا يحكمان مصر ، مع مراد بك ، الذى سلف بيان الجبرتى عنه ) ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة « صفحة ٢٩ -

المماليك ، انذين أفاض الجبرتى فى وصف ظلمهم وبطشهم وسوء خلقهم ، ولم يقل فى أحد منهم كلمة حسنة ؛ والعثمانيون ، الذين هم بالمعنى العربى فرنجة لأنهم لا يتكلمون العربية ، وكل ما هو غير عربى فهو أعجمى - فى لغة القرآن وفهم المسلمين ، هؤلاء العثمانيون الذين تركوا حكم مصر للمماليك ، فأفقدوها بلدا وأذلوا المصريين شعبا ، عندما نازعهم على ملكهم لمصر ، بقرتهم الحلوب ، ومرتع لهوهم وعبتهم ، جيش فرنسى ، رفعوا رايات الجهاد ، وركنوا الى آيات القرآن وأحاديث النبى ﷺ ومأثورات المسلمين ، يكتبونها باللغة العربية ، التى لم يتكلموا بها قط ، حتى اليوم ، لكى يتهموا الغير بالكفر ، ولم يتذكروا أو يذكروا آية واحدة تبرر ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وتغول لهم حق استعباد المصريين واستدلالهم أبناءها من المسلمين والأقباط وغيرهم .

ونتيجة لهذا الخطاب الدينى بالتكفير والجهاد ،  
فقد لجأ نابليون - بارشاد الفصحاء من المشايخ - الى  
الليجوء الى الخطاب الدينى المفرق فى فرض الجبرية وفى  
قبول الاستسلام ، فقال ان مجيئه الى مصر حدث بأمر  
الله ، وأن نصره مكتوب فى قضاء الله الأزلى ، وأن من  
يعارض هذا القضاء ، انما يعارض الله ذاته ، ثم انتهى  
الى مبدأ حاكمية الله ، ذلك بأن حكمه هو حكم الله ،  
وارادته هى ارادة الله ، وعلى الناس أن تقبل وتطيع ،  
والا أصابها المكروه فى الدنيا وحق عليها العذاب فى  
الآخرة •

وهكذا ، دار الفكر الدينى دورة كاملة ، فاستخدمه  
العثمانيون والمماليك لاستعادة ملكهم الذى ضاع منهم ،  
واستعمله نابليون ليجعل من حكمه حكم الله ومن أمره  
أمر الله • وهذا وذاك نتيجة التأويل الفاسد لأحكام الدين  
والتفسير الخاطيء لآيات القرآن • فهل يجد المسلمون  
مخرجاً من هذا وذاك ، حتى لا يستغل الدين أحد  
لاستعبادهم واستغلالهم ؟!



## مصر بعد خروج الفرنسيين

خمدت الحركة الثانية ضد الفرنسيين ،  
والتي يقول الجبرتي عنها ، ان « مدة الحرب والحصر  
بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة ( كانت ) سبعة وثلاثين  
يوما ، وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج  
والشتات والهيّاج وخراب الدور وعظائم الأمور ، وقتل  
الرجال ونهب الأموال وتسلبت الأشرار وهتك (أعراض)  
الآحرار ( الحرائر ) . . . » ويقول قبل ذلك ان  
العثمانيين والمماليك وجنودهم ( ذاقوا وبال أمرهم  
وانكشف الغبار عن تعسة ( تعساء ) المسلمين ، وخيبة  
أمل الداهيين والمتخلفين ( من العثمانيين والمماليك )  
وما استفاد الناس من هذه العمارة ( الحركة ) وما جرى  
في الغارة الا الخراب والسخام ( الفحم أو سواد القدر )  
والهباب . « صفحة ١٠٩ . ويردد الجبرتي في هذا  
الخصوص بيتا من الشعر :

وذنب جره سفهاء قوم وحل بغير جانيه العذاب

وخلال هذه الحركة حدث ما يقول عنه الجبرتي  
 « . . أما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم  
 من الحرب والكرب والنهب والسلب . . . حتى ضاق  
 خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر ،  
 وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار ، مع ما هم فيه  
 من عدم القوت حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء  
 والدواب ، ( هذا مع ) ايداء عسكر العثماني للرعية  
 وخطفهم ما يجدونه معهم ، حتى تمنوا ( المظريون )  
 زوالهم ورجوع الفرنسيين » « صفحة ١٠٧ .

إذا كانت الحركة الثانية ضد الفرنسيين قد قامت  
 وانتهت على الحال الذي وصفه الجبرتي ، المصري  
 الأزهرى العدل ، والتي دفعت المصريين الى تمنى زوال  
 العثمانيين وجنودهم ورجوع الفرنسيين وحكمهم . فان  
 تعقب بعض ما حدث للمصريين قبل وبعد مفادرة  
 الفرنسيين لمصر ، يكون أمرا مهما لتقدير التاريخ  
 تقديرا سليما .

بعد ان وصف الجبرتي ما نتج عن الحركة ،  
 وما تخلف من خرائب كآثر اضرب الفرنسيين مناطق  
 الحركة بالقنابل والمدافع ، فانه يقول « . . . وجميع

ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها  
خرائب متهدمة محترقة ، تسكب عند مشاهدتها العبرات  
ويتذكر بها ما يتلى فى حق الظالمين من الآيات ، فتلك  
بيوتهم ( أى بيوت المصريين ) خاوية بما ظلموا ان فى  
ذلك لآية لقوم يعقلون ، وقال تعالى : وكم أهلكنا من  
قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم  
الا قليلا وكنا نحن التوارثين • وما كان ربك مهلك القرى  
حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا • وما كنا  
مهلكى القرى الا وإهلها ظالمون • وقال تعالى : واذا  
أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق  
عليها القول فدمرناها تدميرا • • • وركب المشايخ  
والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسييس  
( كليبر ) فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا  
ساعة ، أبرز اليهم ورقة مكتوب فيها النصر لله الذى  
يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ،  
وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو  
العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر ، ولو  
كانوا يخالطون ( أى يساعدون ) العثماني فى  
الحروب • وانهم ( فيما بعد ) يشتغلون بمعايشهم  
وصنائعهم • • • ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة

وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان  
والأمان . . . « صفحة ١١٠ »

وفي اليوم التالي اجتمع ( المذكورون ) بسارى  
عسكر فقال لهم « . . . اننا لما حضرنا الى بلدكم  
هذه نظرنا ( قدرنا ) ان أهل العلم هم أعقل الناس ،  
والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمثلون . ثم انكم  
أظهرتم لنا المحبة والمودة ، وصدقنا ظاهر حالكم  
فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير  
الأمر وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم  
بالاحسان ، وخفضنا لكم جناح الطاعة ، وجعلناكم  
مسموعين القول مقبولين الشفاعة ، وأوهمتمونا أن  
الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون ، فلما  
حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم ، وثبت  
عند ذلك نفاقكم . فقالوا له نحن ما قمنا مع العثملى  
الا عن أمركم . . . وخصوصا وهو سلطاننا القديم  
وسلطان المسلمين . . . أجابهم ( كليبر ) بقوله : ولأى  
شئ لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم  
لنا ، فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقوا علينا  
بغيرنا ، وسمعتم ما فعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا  
عندما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال . فقال لهم :



واذا كان الأمر كما ذكرتم ، ولا يخرج من يدكم تسكين  
الفتنة ولا غير ذلك ، فما فائدة رياستكم ، وايش (ماذا)  
يكون نفعكم ؟ ٠٠ لا يأتينا منكم الا الضرر ، لأنكم اذا  
حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم واياهم علينا ، واذا  
ذهبوا رجعتم الينا معتذرين ٠٠ جزاؤكم ٠٠٠ قتلكم  
عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم .  
ولكن حيث اتنا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا  
ولا نقتلكم ، وانما نأخذ منكم الأموال ٠٠ ( وفرض  
عليهم غرامات ضخمة ) وقام من فوره ودخل مع أصحابه  
الى ( ال ) داخل وأغلق بينه وبينهم الباب . ووقفت  
الحرسية ( الحرس ) على الباب الآخر يمنعون من يخرج  
من الجالسين . فبهت الجماعة وانتفعت ( امتفعت )  
وجوههم ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم  
٠٠٠ ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم ، وتمنى كل  
منهم ( لو ) أنه لم يكن شيئا مذكورا . ولم يزالوا على  
ذلك الحال الى قريب ( قرب ) العصر ، حتى بال أكثرهم  
على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان ،  
وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون في  
عرضهم ٠٠ « صفحة ١١١ ، ١١٢ .

وانتهى الأمر بأن رحل الفرنسيون من مصر بناء  
على اتفاق عقده مع العثمانيين ، وفيما حدث نتيجة

لذلك ، يحسن تقديم لقطات متتابعة مما ذكره الجبريتى  
نصا :

● كتب الشيخ أبو الانوار السادات الى كتخدا  
الدولة العثمانى ٠٠٠ تذكرة ( كتابا ) جاء فيه « ٠٠٠  
أما بعد ، فقد نقضت عهدى وتركت مودة آل بيت جدى  
( أى النبى ) وأطعت الظلمة السفلة وامثلت أمر  
المارقين الثقلة ، فأعنتهم على البغى والنجور ، وسارعت  
فى تنجيز ( انجاز ) مرامهم الفاسد على الفور ، من  
الزامكم الكبير والصغير والفنى والفقر اطعام عسكركم  
( العثمانى ) الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ،  
وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم  
فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم  
المصائب والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ،  
ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب ، فبذلك كان  
عسكركم ( العثمانى ) مخذولا ، وبهم عم الحريق كل  
بيت كان بالخير مشمولا ، كيف لا وأكابركم أضمرت  
السوء للمرتزقة ( طالبى الرزق ) فى تضيق معاشهم  
وأخذ مرتباتهم واتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم  
وتعلقاتهم ( متعلقاتهم ) ، وقد أخفتم أهل البلد ( مصر )  
بعد أمنها ، وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ( اطفائها )

ثم فزرتهم فرار الفيران من السنور ( القطط ) وتركتم  
الضعفاء متوقعين أشنع الأمور ، فواغوثاء ... »  
صفحة ١٠٨ .

● وجاء الجبرتي خطاب من صديق له كان قد فر  
الى أسيوط ، وقت الحركة الثانية ، ورد فيه « ان أكثر  
الفارين رجع الى مصر ( القاهرة ) لضيق القرى وعدم  
( وجود ) ما يعيشون به فيها ، انزعاج الريف بقطاع  
الطريق والعرب والمناسر ( اللصوص ) بالليل والنهار ،  
والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف .  
واستمرت الطرق مجفرة ( مضطربة ؟ ) والأسواق  
مقفرة والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة ، والحانات  
والوكائل ( الوكالات ) مغلوقة والنقوش مطبوعة  
والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ... واذا أراد  
الانسان أن يفر الى أبعد مكان وينجو بنفسه ... لا يجد  
طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاحين الأعراب الذين  
هم أقرب الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس ...  
وكذلك أخذ ربك القرى وهى ظالمة ... » صفحة ١١٦ .

● « ... احتجب سارى عسكر ( مينو ) عن  
الناس ، وامتنع من مقابلة المسلمين ( بعد اغتيال كليبر )  
وكذلك ( فعل ) عظماء الجنرالات وانحرفت طباعهم

عن المسلمين ... واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية  
الذل والهوان .. « صفحة ١٤٢ .

● « .. حصلت كارثة سيدى محمود ... إذ  
أشار عليه ( صديق ) بالاختفاء ... فوقع له مزيد  
المشقة فى مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه  
ومعارفه من العربان وغيرهم وتكروا منه .. » صفحة  
١٥٢ ، ١٥٣ .

● « فى ذلك اليوم ... وقع بمجلس الديوان بين  
الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما  
أشيع ورود المراكب الى أبى قير شحت الغلال وارتفعت  
من الرقع ( الأسواق ) على العادة وزادت أثمانها  
فتفاوضوا فى شأن ذلك وانه لابد من الاعتناء من  
الحكام وزجر الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على  
الرقع والسواحل ، ولما قرئ فرمان ... قال بعض  
الحاضرين ( ان ) . العقلاء لا يسمعون فى الفساد ، وإذا  
تحركت فتنة لزموا بيوتهم ، فقال الوكيل ينبغى للعقلاء  
ولأمثالكم نصيحة . ( نصيح ) . المفسدين ، فان البلاء يعم  
المفسد وغيره ، فقال بعضهم هذا ليس بجيد ، بل العقاب  
لا يكون الا على المذنب ، قال تعالى ( كل نفس بما كسبت  
رهينة ) وقال آخر ... ( ولا تزر وازرة وزر أخرى )  
فقال الوكيل المفسدون ... أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ،

والمدافع والبنبات ( القنابل ) لا عقل لها حتى تميز بين المصلح والمفسد ، فانها لا تقرأ القرآن . وقال آخر :  
المخلص نيته تخلصه ، فقال الوكيل : ان المصلح من يشمل صلاحه الرعية . . . وطالت المناقشة « صفحة ١٥٦ »

وهي مناقشة كانت منذ بدأ التاريخ الاسلامي ومازالك حتى الآن قائمة ، جانب منها يرى أن المسؤولية شخصية ، ويستند في ذلك الى الآيات القرآنية ( كل نفس بما كسبت رهينة ) ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) ، في حين يرى جانب آخر أن الفتنة تعم الصالح والفاقد ، ويركن في ذلك الى آيات من القرآن منها ( واثقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) ( اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحل عليها القول فدمرناها تدميرا ) .

● « حضرت جوابات المراسلات التي أرسلت الى البلاد بنسب الفلال والأقوات بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة ، غير أن المانع لهم قطاع الطريق وتعدى العزب ومنعهم السبيل . وأن أبواب البلدان مغلقة بحيث لا يمكن الخروج منها ، فاذا أمنت الطرق حضر المطلوب » « صفحة ١٦٤ »

● « ٠٠ في ذلك اليوم فتحوا باب الجامع الأزهر  
 (الذى كان مغلقا منذ مقتل كليبيس) ٠٠٠ و ٠٠ دخل  
 بعض الانجليز ومروا بأسواق المدينة ٠٠٠ وبيات  
 الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء  
 نعالاتهم ، فنظروا فاذا بالفرنساوية خرجوا بأجمعهم  
 ليلا ٠٠٠ ففرح الناس كعادتهم بالقادمين وظنوا فيهم  
 الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون  
 لقدومهم ، والنساء يلقنن ( يزغردن ) بأصواتهم  
 يقولن نصر الله السلطان ٠٠٠ ودخل الكثير من  
 العساكر مشاة وركبانا ، أجناسا مختلفة « ٠ وطاقوا  
 بالأسواق ووضعوا نشاناتهم ( أقمشة الرتب ) وزنكهم  
 على القهاوى ( المقاهى ) والحوانيت والحممامات ،  
 فامتعض أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز واللحم  
 والسمن والشيرج بالأسواق ، وتواجدت البضائع وانحلت  
 ( قلت ) الأسعار وكثرت انفاكهة ٠٠٠ وتعاطى بيع  
 غالبها الإتراك ، والأرنؤود (قبائل تقيم فى شمال اليونان  
 وألبانيا ) ، فكانوا يتلقون ( يقابلون ) من يجلبها من  
 الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار  
 الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة ٠٠٠ بأغلى  
 الأثمان ٠٠٠ « صفحة ١٩٧ .

● « ٢٠ » ان شخصا من العسكر بالجمالية شرب من الفرقسوسى شربة عرقسوس ولم يدفع له ثمنها ، فكلم الفرقسوسى القلق ( الرئيس ) الانكشارى فأخضره وأمره بدفع ثمنها ونهره ، وأراد ضربه فاستل ذلك العسكرى الطبنجة وضرب ذلك الحاكم ( الانكشارى ) فقتله ، وهرب ٠٠٠ ودخل الى داره وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص على كل من قصده ، فقتل خمسة أنفار ، ومر شخصان من الأرثوود بتلك الحطة (المنطقة) فقتلها الانكشارية لكون الغريم أرثووديا من جنسهما ، فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار ، فخرج هاربا من النار فقبضوا عليه وقتلوه . ومات تسعة أشخاص فى شربة عرقسوس ٠٠٠ وذلك من مبادئ ( أوائل ) قبحهم « صفحة ١٩٨ ، ١٩٩ .

● « نودى بابطال كلف ( تكاليف ) القلقات ( رؤساء العساكر ) وابطال شرك ( شركة ) العسكر لأرباب الحرف الا من شارك برضاه وسماحة نفسه ، فلم يمثلوا لذلك ، واستمر أكثرهم على الطلب من الناس ٠٠٠ وأما العسكر فلم يمثلوا ( ل ) ذلك الأمر ٠٠٠ ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات (مشاكل) « صفحة ٢٠٠ .

● « ٠٠ » وليس القصد من أولئك القلقات ( قصد هؤلاء الجنود ) الانتصار للدين بل إستغنام السلب ( أخذ السلب غنيمة ) وأخذ الثياب « ٠٠٠ » صفحة ٢٠١ -

● عزل الوزير القاضى ٠٠ الذى كان ولأه قاضى العسكر بمصر ( بصفته ) نائبا عمن يتول اليه القضاء باسلامبول ، فلما تولى ( القضاء ) حصل منه تعنت فى الأحكام وطمع فاحش وضيق على نواب القضايا بالمحاكم ، ومنعهم من سماع الدعاوى ، ولم يجزهم ( يجيزهم ) على عوائدهم ، وأراد أن يفتح بابا فى الأملاك والمعار ويقول انها صارت كلها ملكا للسلطان ، لأن مصر قد ملكها الحربيون ( العسكر ) وبفتحتها صارت ملكا للسلطان ، فيحتاج ( الأمر ) أن أربابها ( أصحابها ) أو مواطنوها ( أن يشترونها من الميرى ( السلطان ) ثانية ٠٠ » صفحة ٢٠٢ -

● « أطلقوا ( العثمانيون ) للملتزمين التصرف ٠٠٠ ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقي ومال الميرى ( الضرائب ) والمضاف ( وما يضاف اليها ) ، ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة ( الوالى ) ٠٠٠ والقصد من ذلك اطمئنانهم ( تطمينهم ) بالجباية والرجاء بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم ( الوالى العثمانى ) بذلك ٠٠٠ بعد



دفعهم الحلوان ( الرشوة ) ، مع أن الفرنساوية لما  
استقر أمرهم بمصر ونظروا فى الأموال الميرية والخراج  
فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا فى  
الدفاتر القديمة وأطلعوا على العوائد السالفة ...  
فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار ، وقالوا ليس من  
الأنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة ... فلم  
يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ولا الفلاحين بالخراج ،  
فغنفت الفلاحون وراج حالهم وتراجعت (رجعت لهم)  
أرواحهم ، مع ( من ) عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف  
( التكاليف ) ... « صفحة ٢٠٤ .

● « لما تولى ... أمر الحسبة ، (أيام الفرنساوية)  
منجوه من أخذ العوائد والمشاهرات ( الجعل الشهرى )  
من السوق ( أهل الأسواق ) وجعلوا له مرتبا فى كل  
يوم يأخذه من الأموال الديوانية . ( خزنة الحكومة )  
نظير خدمته ، وكذلك أتباعه ( لكنه بعد خروج  
الفرنسيين ) فصل من عمله وطولب بمائتى كيس ، كان  
( قد ) أعطاها له ( العثمانيون ) ... لمشتروات الذخيرة  
( فاختموها ) ... « صفحة ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

● « تجمع النساء والفلاحون والملتزمون ...  
ببيت الوزير ( العثمانى ) بسبب الإلتزام (الضرائب)

٠٠٠ فلما اجتمعوا وصرخوا سأل الوزير عن ذلك فأخبروه ، فأمر بكتابة فرمان بالاطلاق والاذن للملتزمين بالتصرف ( كيفما شاءوا ) ٠٠٠ وبقي الأمر زجاجا ( مقلقلا ) آياما ، وذلك أن القوم ( العثمانيين ) يريدون أمورا مبطونة في نفوسهم وأطماعا مركوزة في طباعهم ٠٠ « صفحة ٢٠٧ .

● « وقع من طوائف العسكر ( العثماني ) عريضة بالأسواق وتخطفوا أمتعة الناس ، ومن باعة المأكّل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح فأنزعجت الناس ورفعوا متاعهم من الحوانيت ، وأخلوا منها ( أخلوها ) وأخلقوها . فحضر اليهم بعض أكابر ( قواد العسكر ) وراطنهم ( أى حدثهم بغير العربية ) فانكفوا ، وراق الحال . وتبين أن السبب في ذلك تأخير علائقهم ، وذلك أن من عاداتهم القبيحة أنه اذا تأخرت عنهم علائقهم فعلوا ذلك بالرعية وأثاروا الشرور فعند ذلك يطيبون خواطرهم ويوعدونهم أو يدفعون لهم ٠٠٠ وذلك من جملة عوائدهم القبيحة « صفحة ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

● من الحوادث « الارتباك في أمر حصص الالتزام المزداد ( الزيادة ) في المحلول ( فيما حل سداده ) ،

وعدم الراحة والاستقرار على شيء يرتاح الناس عليه .  
ومثل ذلك الرزق الاحباسية والأوقاف ( الأرزاق  
المأخوذة من الأوقاف ) اذ ٠٠٠ حضر شخص تولى النظر  
والتفتيش على جميع الأوقاف المصرية السلطانية  
وغيرها ، ويبدئه دفاتر ذلك ، فجمع المباشرين ( نظار  
الأوقاف ) والمساجد ٠٠٠ وطلب كل من له أدنى علاقة  
بذلك ( بالأوقاف ) ٠٠٠ ثم انكشف الامر وظهر أن  
المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم ( النقود )  
فقط ، وأخذ المصالحات (أموال تدفع للمصلح أو التأجيل)  
والرشوات ( الرشاوى ) بقدر الامكان بعد التعمت فى  
التحرير والتعلل باثبات المدعى فى الايراد والمصرف ،  
خصوصا اذا كان الشخص ضعيفا ، وليس من أرباب  
الوجاهة والمتوجهين ، أو بينه وبين الكتبة حرازة  
باطنية ، ثم يحرقون دفاترهم ، ويحرقون الفائض ( الربا  
المركب ) ثم يطلبون منه ايراد ثلاث سنوات أو أربعة ،  
ولم يزل يصالح عن نفسه بما أمكنه ثم يختمون له ذلك  
الدفتري ويتركونه وما يدين ( به ) ان شاء عمر وان شاء  
آخر ، فان انتهت اليهم بعد ذلك شكوى فى ناظر وقف  
سبقت له مصالحة لا تسمع شكوى الشاكى ولا يلتفت  
اليها ٠٠ « صفحة ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

● وقعت « زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد ٠٠ ( حتى ) دخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة ، ولم يقع فى هذا النيل ( موسم الفيضان ) حطوط ( مرح ) ولا نزهة للناس كعادتهم ٠٠٠ وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية ، وخصوصا الخوف من أذى العسكر ( العثماني ) وانحراف طباعهم وأوضاعهم ٠٠ « صفحة ٢٠٩ .

● « ومنها ( من الأحداث ) حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد ، هروبا من الألفى ( الحاكم ) وما أوقعه بهم من الجور والمظالم والتقارير ( الفروض ) والضرائب والفرائم ٠٠٠ حضر ٠٠٠ يتشكون مما أنزله على بلادهم وطلب متروكات الأموات ( التركات ) ٠٠٠ وطلب استئصال ما بأيدي ( الورثة ) ( مصادرة التركات ) ٠٠٠ ( ومن الحوادث ) كثرة تعدى العسكر بالأذية للعامة وأرباب الحرف ، فيأتى شخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعى ضياع كيسه أو سقوط شيء منه ، وإن أمكنه اختلاس شيء فعل ، أو يبدلون الدنانير الزيوف ( المزيفة ) الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهرا ، أو يلاقشون ( يجامعون ) النساء فى مجامع الأسواق من غير احتشام

ولا حياء ٠٠٠ وانتشروا فى القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح ، فتذهب الجماعة منهم الى القرية وييدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم أنهم حضروا اليهم بأوامر ، اما برفع الظلم عنهم ، أو ما يبتدعونه من الكلام الزور ، ويطلبون حق طريقهم مبلغا عظيما ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم الكلف ( التكاليف ) الفاحشة ، ويخطفون الأغنام ، ويهجمون على النساء ، وغير ذلك مما لا يحيط به العلم ٠٠٠ واذا انفردوا بشخص أو بشخصين خاج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلحوهم (سلبوهم) من ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك . وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ٠٠٠ وتمنى أكثر الناس ، وخصوصا الفلاحين ، أحكام الفرنساوية ٠٠٠ « صفحة ٢٠٩ ، ٢١٠ .

● « ٠٠ تفكك الجسر الكبير المنسوب من الروضة الى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ، فتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه ٠٠ « صفحة ٢١٠ .

● « حضر القاضى الجديد من الروم ( قاضى عسكر الرومى أى قاضى القضاة ) ووصل الى بولاق ٠٠

فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه ٠٠ « صفحة  
٠ ٢١١

● « ٠٠ أحاطت العسكر ( العثماني ) بالأمرام  
( المماليك ) ٠٠٠ وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من  
ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيين ، وخاب أملهم  
وضاع تعبهم وطمعهم ، وكان في ظنهم أن العثماني يرجع  
إلى بلاده ويترك لهم مصر ، ويعودون ( هم ) إلى حالتهم  
الأولى يتصرفون في الأقاليم كيفما شاءوا ٠٠٠ ( وقال  
المماليك عندما طلبوا منهم ترك مصر « كيف يصح  
هذا الأمر ، وقد دخلنا إلى البلد ( مصر ) وملكناها ،  
فكيف نخرج منها طائعين » صفحة ١٠٢ .

● « نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون  
نصفا ، وكذلك نودى برفع عوائد ( مصاريف ) القاضي  
والأفندي ٠٠٠ وزاد على ذلك إهمال الأوراق ببيت  
الباشا لأجل العلامة ( التوقيع ) شهرين وأربعة ، حتى  
يسأل صاحبها وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجيء ،  
ومقاسات ( أنواع ) الذل من الخدم والأتباع ، ودفع  
البقشيش والرشوة على التعجيل ، أو يتركها وربما  
ضاعت بعد طول المدة ٠٠ « صفحة ٢٢٢ .

● « وقفت الأرثوذكس ( وهم من قبائل كانت تعيش في شمال اليونان وفي البانيا ) لخطف ... الفلاحين ... ووقع منهم القتل في كثير من الناس ، حتى في بعضهم البعض . وغالبها لم يصم رمضان ، ولم يعرف لهم دين يتدينون به ولا مذهب ولا طريقة يمشون عليها ( بل ) اباحية ، أسهل ما عليهم . قتل النفس ... وأما ما فعله كشاف الأقاليم فلا تدركه الأفهام ولا تحيط به الأقاليم ... » صفحة ٢٨٧ .

● « وارسلوا العسكر ( العثماني ) الى بيوتهم ( بيوت المصريين ) فجلسوا بها يأكلون ويسكرون ويطلبون من النساء المصروف ، خلاف الأكل الذي يطلبونه ويشتهونه ، وهو ( المصروف ) ثمن الشراب والدخان والفاكهة ، بل ويأتون بالقحاب معهم ... » صفحة ٣٢٩ .

هذه نقاط من شريط طويل ، وواقعات من تاريخ أسود ، عاش فيه المصريون وهم يئنون من المظالم ويضجون من المغارم ، وما من مجيب ! فلا حكومة ولا حكام ، ولا إدارة ولا إداريون ، لا شريعة ولا قانون ، ولا قضاء ولا قضاة ، بل عصابات من النهابين والخطافين والسفاحين وقطاع الطرق ، ومن ماثلهم ومن شاكلهم .

ونتيجة للمفاهيم الدينية الخاطئة فقد ظن الناس أنه  
قضاء الله المكتوب عليهم وأنه قدرهم المقدور من قديم  
الازل ، فقمعدوا عن أى مقاومة وسكتوا عن أى معارضة .  
وظلوا فى سلبية شديدة يرددون بأصوات خافتة  
كسيرة : يارب متجلى ، اهلك العثمالي . وقد كانت  
أبواب السماوات موصدة ، فلم يهلك العثمالي الا بعد  
أن هلك المصرالى .



## الثقافة السمعية والحملة الفرنسية

فى أنشودة الجندول للشاعر المصرى على محمود طه ، والتى لحنها وغناها محمد عبد الوهاب ، بيت من الشعر له مدلول غاية فى الأهمية ، خاصة حينما يصدر عن شاعر مصرى ، ويفغيه عبد الوهاب ، فيصير نفمة على كل لسان ، يردده الكبير والصغير ، والمتعلم والجاهل ، والواعى والغافل .

يقول هذا البيت :

أنا من ضيع فى الأوهام عمره  
نسى التاريخ أو أنسى ذكره !

فالشاعر ، والمغنى ، الذى يمرر عن روح الأمة ، ويكشف عن طبيعتها ، يفصح عن أنه نسى التاريخ ، أو أنسى ذكره ، فضاع عمره فى الأوهام ، بعيداً عن الحقائق ، وبمناى من الواقع .

ومن يكن هذا شأنه ، فردا أو جمعا ، شخصا أو  
أمة ، فانه لابد وأن يجنح بأوهامه الى الخيال ، ويجمع  
بأحلامه الى الخيال ، فلا يتوافق مع الحقيقة أبدا ،  
ولا يتصادق مع نفسه قط . والسبب في هذا الجموح  
وذلك الجنوح ، في هذا الخيال ، وذاك الخيال ، هو  
عدم ذكر التاريخ ، وعدم الالتفات اليه وعدم  
التأسي به .

ما الذي أدى ويؤدي الى نسيان التاريخ ، وانضى  
ويفضى الى الضياع في الأوهام والشبهات في الأحلام ؟!

لذلك أسباب كثيرة ، غير أن أهمها وأشدها ، فيما  
يتعلق بالمصريين ، وبالعرب ، وبالمسلمين ، ركونهم الى  
الثقافة الشفهية . فلقد قامت الثقافة العربية على  
الشفهية ، نتيجة لما كان عليه العرب من بداءة وبدائية ،  
ثم امتدت هذه الثقافة وانتشرت الى المسلمين الأوائل ،  
الذين كانوا عربا . ثم استمرت بعد ذلك الى الأجيال  
التابعة والتالية ، بحسبانها سنة الأولين ونهج التابعين .

لقد كان الأحرى بالعرب ، والمسلمين ، أن يعووا  
الفوارق الدقيقة والمهمة ، بين الثقافة الشفهية ، التي  
تنتقل من شفة الى أذن ومن شفة الى شفة ، بلا تحقيق

ولا توثيق ولا تدقيق ، وبين الثقافة العلمية التي تسرى من عقل الى عقل ، ومن فكر الى فكر ، فى منهجية وتتابعية واطردية ومنطقية وتكاملية ، أساسها التحقيق والتوثيق والتدقيق ، وقوامها الالتزام فى كل لفظ ، والانضباط فى كل حرف ، والتحديد فى أى معنى ، والوضوح فى أى تعبير . حتى عندما بدأ عصر التدوين ، فى القرن الثالث الهجرى ، فان الكتاب كتبوا ، والمدونين دونوا ، بالأسلوب الشفهى والنهج السمعى ، والوضع النقلى ، فكتبوا كما لو كانوا يتكلمون ، ودونوا كما لو كانوا يتحدثون ، وبذلك لم ينتقلوا بالكتابة من الثقافة الشفهية الى الثقافة العلمية ، الا فى أعمال نادرة للغاية ، أغلبها الكتابات الفلسفية التى تأثرت فى نهجها وفكرها بالفلسفة الاغريقية ، وخاصة مؤلفات أرسطو . والذى له دلالة خاصة فى هذا الصدد ، أن لفظ التدوين ، الذى أطلق على العصر الذى بدأ فيه المسلمون الكتابة ، يعنى ( هذا اللفظ ) الجمع والترتيب ، وهو تصريف من لفظ الديوان الذى هو تصحيف للفظ الايوان الفارسى ، بمعنى المكان الذى يوجد فيه الكتبة وموظفو الحكومة ( المعجم العربى الأساسى ، مادة : دون ) . فالتدوين من

ثم ، كان يعنى الجمع والترتيب ، ولا يعنى الانشاء والتفكير .

عادة ما تكون الثقافة الشفهية ثقافة كل أمة فى بداية نشأتها وبدأوة سيرتها ، على أن تتجاوزها بعد ذلك الى الثقافة العلمية ، لتستبدل العقل باللسان والفكر بالأذان ، لكن الخطر كل الخطر أن تتجمد الأمة فى ماض بدائى وتتحفر فى تراث بدوى ، فيصير هذا وذاك حائلا دون الثقافة العلمية وحاجبا عن الرشيد العقلى ، بما يلقى فى مهاوى ومساوى الثقافة الشفهية -

فالثقافة الشفهية سلبيات كثيرة ، أهمها أنها ثقافة لفظية انشائية ، فخارية هجائية ، متخلفة متلفعة ، شكلية ظاهرية .

فهى لفظية انشائية من حيث انها تقف عند اللفظ وحده ، فتنمقه وتزوقه ، وتقصه وترصه ، وتعني وتحتفى ، لكنها تفعل ذلك فى حدود جملة واحدة أو فى نطاق عبارة مفردة ، دون أن تتنبه للتركيب البنائى أو المعانى المتصلة أو المفاهيم المتكاملة . بهذا تنتهى الثقافة اللفظية الى جمل متراصة بجوار بعضها ، لا تتراكب ولا تتداخل ولا تتفاعل ، انما هى جملة بعد جملة

وراء جملة ، بلا أى توقف أو نتيجة أو نهاية ، وهو ما يعد من قبيل الانشَاء ، أى توليف الألفاظ وتنسيقها فى استرسال متواصل ، بما يعبر عنه فى اللغة الانجليزية بلفظ Rhetoric أى اللغة المنمقة الطنانة التى تتسم بالمغالة وعدم الصدق ، على حساب الفكر .

وهى فخارية هجائية من حيث انها تعتمد على التشديق الكلامى والتعذلق الخطابى ، الذى ينحدر بها الى التفخيم والتضخيم ، بالتفاخر والتظاهر ، من جانب الذات ، وبالهجائية والخصامية والهجومية والعدوانية فى خطاب الغير . وتظهر هذه الخصيصة واضحة فى الشعر العربى ، منذ عهد ما قبل الاسلام حتى اليوم ، اذ أن أهم وأخطر ما فيه هو ما يتصل بالفخر بالذات أو القبيلة أو الأمة ، وما يتعلق بالهجو للغير ، فردا كان أو قبيلة أو أمة .

وهى متخلفة متلففة من حيث انها لا تحقق ولا توثق ولا تدقق ، وانما تعتمد على الاشاعات وترتكز على الحكايات ، فتتخطف نصا من هنا ونصا من هناك ، قولاً من هذا وقولاً من ذاك ، كلمة من موضع وكلمة من آخر ، خاطرة من جانب وخاطرة من عكسه ، كلمة من

قاتل بكلمة من خصمه ، وهكذا • ولأنها لا تستطيع البناء ولا تقدر على التركيب ، خاصة بين شواره وعوارض ، فانها تلفق الأحاديث وترتق الروايات وتلصق الحكايات • .

• وهى شكلية مظهرية من حيث انها تعنى بالشكل دون المضمون ، وتهتم بالمبنى لا بالمعنى ، وتقف عند المظهر بعيدا عن الجوهر • ذلك بأن الطبيعة اللفظية لها ، والحقيقة الحرفية عندها لا تستطيع أن تتجاوز الخارجى الى الداخلى ، ولا يمكنها أن تتعدى الظاهرى الى الباطنى •

هذه الثقافة الشفهية التى ضربت بسوءاتها على المصريين ، وعلى الغرب ، وعلى المسلمين ، هي التى أنستهم التاريخ ، مادام أنه من مقتضاها ألا يفرفوا ولا يفهموا التاريخ وأحداثه ، فى منهجية وتتابعية واطرادية ، بحيث تظهر الأحداث ومحدثيها ، والأسباب ومسبباتها ، واضحة جلية ، متوالية متتابعة تبين الحقائق ، واحدة بعد أخرى ، وشخصا تلو آخر ، لكنهم يعرفون منه تحطفات وتلفقات ، تظهر فى نواذر أو نكات أو أمثلة أو مقتطفات ، لا توضع فى

نطاقها التاريخي ، ولا تعرضن في مجالها الزمني ،  
ولا تبدو في سياقها الطبيعي .

بهذا نسي المصري ، والعربي ، والمسلم ، تاريخه ،  
أو أنسى هذا التاريخ ، فعاش في أوهام صنعته له  
خيالات عليلة ، وهياتها له خبالات كليلية ، مما انتهى  
به الى الضياع في الحياة والشتات في الذات .

ومن الخيالات العليلة والخبالات الكليلية أن  
المصري لا يعرف حقائق التاريخ ودقائق الواقع ، بل  
يتصور هذا وذاك بالأوهام والاشاعات في صورة لم  
تحدث أبدا ولم تقع قط ، وبهذا فإنه لا يستطيع أن  
يحكم حكما صحيحا على ماضيه ، ولا يستطيع أن يصل  
الى قرار سليم في حاضره .

فما يشاع ويذاع ، كما لو أنه حقيقة ثابتة  
مؤكدة ، أن مصر كانت تعيش ، في عهد الاحتلال  
العثماني ، عيشة سعيدة آمنة ، تحقق فيها العدل  
والسلام والرخاء ، نتيجة لتطبيق الشريعة الاسلامية  
واعمال الدين القويم ، حتى جاءها الاحتلال الغربي  
( الفرنسي ثم البريطاني ) فبدل العدل ظلما ، والسلام  
حربا ، والرخاء جدبا . وتشاع الاشاعات وتذاع

الاذاعات ، دون أن يكلف أحد خاطره فيقدم دليلا على ذلك أو سنداً على ما يدعيه ، ولا يرجع أحد بنفسه الى مرجع مهم ، مثل كتاب الشيخ الجبرتي ، المصرى الأزهرى العدل ، ليستوثق من الحقائق. ويستجلى كل الدقائق .

( أ ) فمما ذكره الجبرتي ، وورد فى الفصول السابقة ، ما يقطع بيقين بأنه لم يكن يوجد فى مصر ، قبل الحملة الفرنسية ، شعب بالمعنى المفهوم والمدلول الدارج ، ولم تكن توجد أمة متوحدة متجانسة ، بل كانت فى مصر أخلاط من الناس متنافرة ، وأمشاج من الخلق متحاربة ، لا يجمعها جامع ولا يضمها هدف . فكانت كل جماعة ضد الأخرى ، وكانت كل طائفة فى حرب مع غيرها ، وكان كل فرد غارق فى الجهل ، والأناينة ، لا يعنى بوالد أو بولد أو ببلد ، اذا ما حزب الأمر أو حلت كارثة .

فقد كانت فى مصر آنذاك طبقة من المماليك ( العبيد ) الذين يجلبون من بلاد القوقاز والتركستان ( التتار ) وشركسيا وغيرها ، وهم بطبيعة الحال غرباء عن أهل مصر ، لم يعرفوا الاسلام من آبائهم أو من مجتمعاتهم ، وانما اعتنقوه على حرف عندما استقروا



بمصر - ولهؤلاء المماليك ( العبيد ) نفسية العبيد  
وأخلاق الدون ، وهو ما وصفه الجبرتي بنظرة نافذة  
ودقة بالغة ، فقال عن كبيرهم ( مراد بك ) ما يصدق  
على غيره ، من غلبة الهاجس والوسواس ، والخوف  
والجبن والتهور والطيش والتورط والغرور والكبر  
والخيلاء والصلف والظلم والجور ، غشوم عسوف  
ذميم ظلوم !!! ( بنص الفاظ الجبرتي على كثرتها  
وقسوتها ) - وقد كان هؤلاء المماليك ( العبيد ) فى  
صراع دائم مستمر مع بعضهم البعض ، على الامارة  
والسيادة واغتيال المصريين ونهب أموالهم - ومع ذلك  
لم يكونوا على كفاية فى الحرب وشجاعة فى القتال ،  
فانهزموا فى ثلاثة أرباع الساعة ، واذا بهم يفروا  
من المعركة ويتخلوا عن المصريين -

والى جانب هؤلاء المماليك جماعات من الشوام  
والمغاربة والأروام - وعدد قليل من مشايخ الأزهر  
لا يتكرر منهم الا أسماء الشرقاوى والمحروقى والبكرى،  
ولم تكن لهم رياسة على الناس ولا مكانة فى المجتمع،  
بل كانت الغلبة دائما للغوغاء والأزاعر والحرافيش  
( الذين ليست لهم أسر ولا انتماء ) ومن يصفهم  
الجبرتي بالحشرات ( أى سفلة السفلة ) - ولم يظهر

خلال الأحداث ، فى شكل تاريخ الجبرتى ، وجود طبقة من المستيرين العلماء الذين يعلمون المجتمع ويشقفون الناس ويشيرون بالرأى ويقودون الأمة الى جوار هؤلاء ، وفى خارج المدن غالبا ، يوجد الأعراب الذين يعيشون على السلب والنهب وقطع الطرق وهتك الأعراض . وقد حرص الجبرتى على أن يورد فى شأنهم نص ما كتبه اليه صديق فر الى أسيوط فقال « الملاعين الأعراب الذين هم أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس » ، وهو وصف يتضح أن الجبرتى حرص على ابرازه دائما كلما ورد ذكر لهؤلاء الأعراب .

ونتيجة لتشتت الشعب وتبدد الأمة . ( ان كان ثمة شعب أو أمة ) فان الناس هربوا فرادى ، منهزمين منسحقين ، بمجرد سماعهم بمقدم الحملة الفرنسية « لا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن آبيه وابنه » كما يقول الجبرتى نصا . وما ان تركوا مصر ( القاهرة ) حتى كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فقد تلقفهم الأعراب الفلاحون فسلبوهم وانتهبوهم وهتكوا أعراض النساء ، حتى اضطروهم الى العودة من حيث هربوا ، وهم عراة حتى من ملابس تستر العورة .

(ب) ولم يكن في مصر عدل ولا أمن ولا سلام .  
 ففى كل ما سلف بيانه فى الفصول السابقة يظهر بحلاء  
 أن الطرق بين البلاد كانت دائما مقطوعة من الأعراب  
 ( قطاع الطرق ) ، وأنه لم يكن ثم ضمان للأمن أو  
 السلام أو العدل . لآى فرد من المصريين . فالجنود  
 العثمانيون والمماليك وأتباعهم يقتلون من يشاءون  
 دون سبب وبغير جريرة ، ويخطفون ما يحمله الناس ،  
 ويهتكون الأعراض كيف شاءوا ، ويحتكرون أقوات  
 الناس وطعامهم ، ويشاركون الأسر فى المساكن  
 ويفرضون عليهم الاتاوات . . . . . وهكذا . فمن الذى  
 يأمن أو يسلم فى هذا المناخ الفظيع الشنيع ؟!

(ج) وكانت وجهة نظر السلطنة العثمانية . أن  
 عسكرها أخذوا مصر بعد السيف ، ويتعين على المصريين  
 أن يعاودوا شراء بلدهم من السلطان ان أرادوا ، ووافق  
 هو على ذلك ، وهذا المفهوم هو ما صرح به القاضى  
 الذى ولاه قاضى عسكر ( الرومى ) ، على ما سلف  
 بيانه .

وكان هذا هو اعتقاد المماليك الذى صرحوا به  
 عندما طلب اليهم العثمانيون ترك مصر بعد رحيل

الجيش الفرنسى اذ قالوا : لقد دخلنا الى البلد ( مصر )  
وملكناها فكيف نخرج منها طائعين ؟

ومؤدى ذلك أن السلطنة العثمانية كانت ترى فى  
مصر غنيمة مملوكة لها بحد السيف ، وكذلك فان  
الممالك كانوا يرون أنها ضيعة مملوكة لهم .

فمصر ، على الحاليين ، لم تكن بلدا مستقلا أو  
محتلا ، بل كانت غنيمة وضيعة ، وأبناؤها ملك للغانم  
وغنبد للحاكم .

( د ) ولم تكن الشريعة تطبق فى مصر آنذاك ،  
ولا كان التدوين الصحيح معروفا . ذلك أن لفظ  
الشريعة لم يرد فى كتاب الجبرتى الا على لسان نابليون  
وفى منشورات الفرنسيين ، ولا يوجد فى كل الكتاب ،  
فى فترة ما قبل الحملة الفرنسية وأثناءها ، ما يدل  
على تطبيق أحكام الشريعة ، أو وجود فاعلية لها فى  
تعاملات الناس ، أو قيام علماء لها أو فقهاء فيها ،  
أو صدور كتب عنها ، ولم نقرأ على لسان أحد المشايخ  
رأيا يرجعه الى الشريعة أو فتوى يعتمد فيها على  
رأى فقهى . ولم توجد محاكم شرعية ، ولا مدنية ،  
وانما كان يرأس القضاء قاضى عسكر الرومى ، أى  
قاض عسكرى غير عربى ولا مسلم ، وهو الذى كان يعين

القضاة بعد أن يحصل منهم على الرشاوى ، فيظلموا هم كما يشاءون ، ويصدروا الأحكام لمن يدفع أكثر ، اذ لم يكونوا مستقلين ولا كانوا يتقاضون مرتبات ثابتة من السلطة ، لأنه لم تكن توجد سلطة ولا كان ثمة تنظيم للقضاء أو لغيره .

أما عن التدين فقد كان شائها الى حد ينحرف به عن صحيح الدين وصريح الشرع .

فالناس تمتهن المساجد فتلحقها بالأسواق القذرة ، حيث الأكل والشرب والغزل ، والطبل والزمر والنقر ، والقاذورات « والعفوشات » ، وهم فى المساجد وفى غيرهما ، يحرفون ذكر الجلالة ( بنص تعبير الجبرتى ) ، ويتكلمون بكلام محرف ( عن أصل صحيح ) يظنون أنه ذكر يثابون عليه ، ويتبركون ويتوسلون بشخص أبله ، يقدمون له الهدايا والندور ، ويعبون من الهواء المحيط بقبره ليمثلوا من بركاته . حتى قال فيهم الشاعر الذى أورد الجبرتى أبياتا من شعره ، يعنىها هو بغير شك ، ويقصد معناها دون موارد ، فيصفهم بأنه « هكذا المشركون تفعل مع أصنامهم » أى انهم مشركون وعبداء أوثان .

ولا يرد على ذلك بأن ما سلف من أوصاف ووقائع يتصل بالعوام ويتعلق بالجهال ، وأنه كذلك استثناء

لا قياس عليه ولا تعميم له ؛ ذلك لأن الجبرتي لم يذكر هذا التبرير ولم يشر الى أن أغلب الناس على غير ذلك ، لكنه كان فيما يورخ يروى واقعات هى بذاتها نماذج لما يحدث فى كل آن وفى كل مكان ، خاصة حين تقع فى المسجد الأم ، وهو المسجد الحسينى . يضاف الى ذلك أن المجتمع ذى التدين السليم والشرع الصحيح لا يمكن أن يفرز واقعات كتلك ، ولا أن يسمح بظهورها أبدا .

والذى يؤكد أن تدين الناس كان شأنها ، فضلا ، عما سلف ، ما كان قد بدا منهم من أفعال وسلوكيات .

(هـ) فلقد كانت الجموع ( العامة والغوغاء وأخلاط الناس ، بلغة الجبرتي ) تضح عندما سمعت أصوات القتال بين الفرنسيين والمماليك فى منطقة امبابة ، يرفعون أصواتهم بالصياح ، فيما يعبر عنسه الجبرتي بتمبير صادق صنيح اذ يقول « وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصيائحهم » . ونفس الأسلوب هو الذى كان يتبعه المصريون عامة ازاء مظالم العثمانيين ، اذ أنهم لم يقاوموا ولم يعارضوا وإنما ظلوا طوال السنين يدعون الله ويقولون « يارب يا متجلى ، اهلك العثمالي » .

هذا الأسلوب الذي يكتفى بالقول بدلا من العمل هو أسوأ نتاج الثقافة الشفهية ، التي تعتقد بأن القول مكافئ للعمل ، وأن الكلام بديل عن الفعل . فما دأمت قد قالت فقد فعلت ، وما دامت قد سمعت ( اشاعة ) فما سمعته وقع فعلا وحدث بالضبط !!

وفى التدين الصحيح ، فان القول لابد أن يقتصر بالعمل ، والكلمة ينبغي أن تتحقق في فعل . وفي القرآن ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ) سورة التوبة ٩ : ١٤ . لكن الفهم الخاطيء للتدين يبطل العمل ويعدم الفعل . على تقدير أن هذا أو ذاك ( الفعل أو العمل ) لا يغير مقدورا ولا يبدل مسطورا . فكل شيء مكتوب عند الله في لوح القدر منذ الأزل ، ولا سبيل الى تغييره أو تبديله ، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف . وإذا كان هذا صحيحا فلا يكون من الدعاء جدوى ، إذ أنه صراخ في الهواء ، لا يؤثر ولا يغير ، مع أنه في القرآن ( وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ) سورة البقرة ٢ : ١٨٦ . أما إن كان للدعاء أثر ، فان هذا الأثر لا يكون لا مع وجود عمل من الانسان . فالله سبحانه وتعالى ان أراد رسالة منه بعث نبيا بشرا ليبلغ رسالته ، وان أراد علما أو ابداعا خلق

انسانا ليصل الى العلم أو يحقق الابداع ، بعد معاناة منه ، ومشقة واجتهاد - والدليل على ذلك ، تلك الآية التى سلف بيانها ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ) - فالدعاء وحده ، بغير مجاهدة ومكابدة ، ليس من الفكر الدينى الصحيح -

( و ) أما عن السلوكيات فان الجبرتى على الدوام يورد وقائع وسلوكا لا يصدر الا عن همج بلا دين ولا خلق ، ورعاع بغير شرع ولا أدب - ينتهزون أى فرصة للمقتل والسلب والنهب ، ويتبعون عورات الناس ويقطعون رأس صبية لأخذ ما على رأسها من حلى أو مصاغ ، ولا يحترمون كبيرا أو رئيسا ، فهم يخافون ولا يستحون ، هذا فضلا عن أنهم لا يحفظون عهدا ولا يقولون صدقا ، ولا يقيمون عدلا -

فبعد أن خمدت الحركة الثانية ضد الفرنسيين ، وجمع قائدهم العلماء والمشايخ وعاتبهم لأنهم أظهروا للفرنسيين المودة والمحبة وهم يضمرون خيرا ذلك ، لم يقل أحد فى وجهه كلمة واحدة تعنى رفضه للاستعمار الفرنسى أو تأييده للحركة ضده ، فيجاهد ولو بالقول ، لكنهم كلهم أبدوا الاعتذار وكرروا الأعذار ، فاستحقوا احتقار القائد وازدراءهم - ولما فرض عليهم غرامة



مالية وتركهم يمنعمهم الحراس من الخروج ، بال أكثرهم على ثيابه من الخوف والفرع ، وتمنى كل واحد منهم لو لم يكن شيئا مذكورا ، واستنجدوا بالأقباط (ووقعوا في عرضهم ) ليتوسطو لهم لدى الفرنسيين - فهل هذا من الدين أو الشرع فى شىء ؟ وهل جلد أحد منهم تخاذله وجبنه ؟ ألم يعى أحدهم المعانى الحقيقية للكفاح ضد أى مستعمر وأى غاز ؟!

وقد سلف بيان كتاب الشيخ السادات ، وهو من كبار المشايخ ، الى كتحدا الدولة العثمانى وفيه يقول : « ... لقد نقضت عهدى ( مع الفرنسيين ) ... وأطعت الظلمة السفلة وامثلت أمر المارقين الثقلة ( يقصد العثمانيين ) فأعنتهم على البنى والجور ، وسارعت فى تنجيز ( انجاز ) مرامهم الفاسد على الفور ، من الزامكم الكبير والصغير والغنى والفقر اطعام عسكريكم ( العثماني ) الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى ... الى آخره » . فهل من الدين فى شىء أن ينقض المؤمن عهدا قطعه على نفسه ، وأن يطيع الظالمين على ظلمهم ، وأن يعينهم على

اذلال الناس والاضرار بهم ، وفى اعمال النهب  
والفساد ، ويسبكت عن جهادهم فى الملاحى وأما كن  
الموبقات ؟ وهل من الشرع فى شىء ألا يحمى الشيخ  
المسلمين من المصائب والدواهى وهو يعرف ذلك  
ويصيح ، فلا يصيح بالحق ولا يجهر بالصواب  
ولا يدعو الى الصلاح !! ؟

( ز ) وقد قام العامة والغوغاء بحركتين ضد  
الفرنسيين يبالغ بعض الكتاب فى شأنهما فيزعمون  
أنهم ثورتان ، مع ما سلف من بيان الخبرتى عنهما  
ووصفه لمن قام بهما ، وسفور رأيه فى عدم الرضا  
عنهما ، مما دعاه الى أن يردد فى شأن الحركة الثانية  
قول الشاعر ::

وذنب جره سفهاء قوم  
وحل بغير جانيه العذاب

هذا فضلا عن استشهاده ، هو وصديقه الذى كتب  
اليه من أسىوط ، بآيات من القرآن الكريم تفيد خراب  
بيوت الظالمين ، بما يكشف عن رأيهما بأن الخراب الذى  
حل بالناس وبيوتهم ، اثر الحركة الثانية ، كان نتيجة  
ظلمهم وعقابا لهم من الله ..

ومع ذلك ، وعلى فرض أن ما حدث ثورتان ، وليست هوجتان ، فإن الثورة على المستعمر والغاوى ضرورة لا بد منها ، وواجبا على الشعب كله وعلى كل فرد فيه . لكن التساؤل لا بد أن يثور عن سبب هيجان العامة على الفرنسيين الذين عاملوهم بالحسنى ، بشهادة الجبرتي نفسه ، وعند ثورتهم على العثمانيين والمماليك ، وأتباعهم وأشباعهم ، مع أنهم فعلوا بالمصريين مالا يمكن أن يتصوره أحد أو يعتقد أنه حقيقة وواقعا الا بعد أن يقرأه في كتاب الجبرتي . فما من رذيلة الا أتوها ، وما من مظالم الا أوقعوها ، وما من مفسد الا اقترفوها ، مما سلف بيبانه ، وأنف ايضا .

لا شك أن استكانة المصريين العثمانيين والمماليك كانت تعود الى الاعتقاد الدينى الخاطيء بأنهم مسلمون ، وأن سلطان العثمانيين سلطان المسلمين . فلا تجوز انثورة عليه ولا الاعتراض على حكمه ( وهو الاعتقاد الذى ظهر جليا واضحا حين استصدر السلطان العثماني فتوى من شيوخ الدين بأن محمد على وابنه ابراهيم خارجان على الدين مارقان من الشريعة ، يجوز قتلهما ، ثم عاد وسحب الفتوى ، وحين استصدر ذات

السلطان فتوى دينية ضد أحمد عرابي باعتباره خارجا عن الاسلام مادام قد خرج على السلطان وطالب بحق شرعى له ولغيره من المصريين ) • يؤكد هذا المعنى أن المهيجين ضد الفرنسيين كانوا يصفونهم بالكفر ولم يصفوهم بالظلم • ومؤدى هذا الاعتقاد الدينى الخاطيء أنه يسوغ لمن يدعى الاسلام ، ولو رءاءا ورياءا ، أن يرتكب كل الموبقات ويقترب كل المظالم ويجترح كل المفاسد • وهذا الاعتقاد الخاطيء هو الذى أدى الى القالة التى تردد بأنه « لا تضر مع الايمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة » ، أى أن الأساس هو مجرد الايمان ، ولو ظاهريا ، بحيث يجوز لمن يدعيه بعد ذلك أن يفعل المعاصى والآثام والذنوب فلا يؤاخذ بها أو يسأل عنها ، فى حين أن غير المؤمن يعاقب ويجازى ولو فعل كل خير وأتى كل عدل وبذل كل خير • والحقيقة التى يؤكد عليها القرآن هى ضرورة اقتران الايمان بالعمل الصالح « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » سورة فصلت ٤١ : ٣٠ • ان الفهم الدينى الخاطيء يجيز الاستعمار والاستعباد والاستئلال لمن يشارك المسلم فى دينه ، ولو

ادعاء ، دون أن يقرن هذا الايمان بصحيح العمل ، من عدل وفضل وخير وبر وبذل وعطاء واحسان . ومن جانب آخر ، فان القرآن يدعو المؤمن الى عدم قبول الظلم ، سواء من مسلم أم من غير مسلم ، ويتوعد بالعقاب من يقبل الظلم ويسكت عن الاضطهاد ، على تقدير أنه هو الذى ظلم نفسه وهو الذى اضطهد ذاته ( ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ) سورة النساء ٤ : ٩٧ . أى ان من يقبل الظلم على نفسه ويرضى الافتئات على حقه ، يكون مهيناً فى الدنيا وينال عقاباً فى الآخرة .

(ح) وصف الجبرتنى سليمان الحلبي قاتل كليبر قائد الجيش الفرنسى ، بعد نابليون ، بأنه (أى سليمان) : أفاق أحقق . والأفاق لغة ، هو من لا ينتسب الى وطن ومن لا يثبت على رأى واحد . والأحقق لغة ، هو الأهوج قليل العقل . والملح المدعى الفرنسى فى المحاكمة الى أن سليمان الحلبي من أرباب السوابق ( ولعل هذا هو ما دعا الأغا العثمانى الى استدعائه وتكليفه مهمة القتل ) . وقال سليمان فى اعترافاته أنه قبل القتل

لقاء مال يدفع له ووجاهة اجتماعية تضافى عليه ،  
 وحين ادعى أنه قتل كليبر مجاهدة ومغازاة ، فانه لم  
 يذكر في ذلك سببا دينيا ولا سندا شرعيا . وقال  
 مصطفى أفندي الذى قضى ببراءته انه لا يعلم من  
 القرآن الا « مشادية » أى أحكامه الشديدة ، وأن  
 القرآن يذكر المغازاة ( الجهاد ) ، وأن من قتل كافرا  
 يكسب اجرا ، غير أنه لا علاقة له بما يقوله القرآن في  
 ذلك ، لأن شرف الفرنسيين من شرف الاسلام ( بنص  
 قوله ) .

ويعنى ذلك أنه لا سليمان ولا غيره ممن أدين معه  
 أو برىء من الاتهام كان يفهم معنى الجهاد بأسانيد  
 شرعية ، وانما تجرى فهمهم فى ذلك على مجرد  
 السماع ، وتقوم عقولهم فى ترديده على ثقافة الاشاعات ،  
 التى تدعى خطأ أن من قتل كافرا يكسب اجرا . وهذه  
 المقالة التى ظهرت فى محاكمة سليمان الحلبي ، والتى  
 يرددها الجهال والبغاة ، هى التى أساءت ومازالت تنسب  
 الى المسلمين ، وتقدم الى العالم صورة شائنة قاتمة عن  
 الاسلام الذى يحمى نفس الانسان ، وفيه ( من أجل  
 ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أن من قتل نفسا بغير نفس  
 أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ) سورة  
 المائدة ٥ : ٣٢ .

سليمان حليبي هذا ، الأفاق الأحمق ، والقاتل  
 المأجور ، الذى لم يذكر آية واحدة من القرآن أو قاعدة  
 واحدة من الشريعة تبرر فعلته ، هو الذى صور به البعض  
 بطلا من أبطال العرب ورمزا من رموز مصر ، فأطلق  
 اسمه على شارع مهم فى وسط القاهرة ، بينما أهملت  
 أسماء كثيرين من المصريين والعرب ، ممن هم أبطال فى  
 الحقيقة ورموز فى الأصل ونجوم فى الضمائر - فما هى  
 العلة فى اضعاف بطولة زائفة على شخص أفاق أحمق ،  
 وقاتل مأجور ، تجعل منه رمزا فى ضمير الأمة وفى  
 نفوس الناس ، فتحيطه بهالة من الأكاذيب والافتراءات.  
 تمنع الناس من معرفة الحقيقة أو تصدمهم بشدة اذا ما  
 عرفوا ولو بعضا منها ؟ ولماذا نعى باضعاف حالات من  
 البطولة وحالات من الفخامة على المهيج والمهرج ، والمدعى  
 والزاعم ، والمحرف والمزيف ، فنشوة التاريخ ونبلبل  
 العقول ونقلقل الضمائر ، الأمر الذى لابد أن يتأدى  
 بالأمة ويتطرق بالناس الى أن يعيشوا فى التزييف  
 والتحريف ، ويحيوا بالأوهام والأحلام ، فلا يقدرُوا  
 على مواجهة الواقع ولا يستطيعوا استيعاب الحقيقة ،  
 فاذا استفاق منهم أحد أو استرد وعيه شخص، ردد  
 ما قاله الشاعر « أنا من ضيع فى الأوهام عمره - نسي  
 التاريخ أو أنسى ذكره » !





## الحملة العسكرية والصدمة الحضارية

تشير وقائع الأحوال ، وتفيد شواهد التاريخ ، أن الفرنسيين كانوا قد غزوا مصر ليستقروا فيها ، وهذا شأن الغزاة ، ووضع كل من غزا مصر قبل الفرنسيين ، كالعثمانيين والعرب والرومان والافريق والاشوريين والفرس ، فلقد كان هناك صراع بين فرنسا وانجلترا ، منذ سنين بعيدة قبل الحملة الفرنسية على مصر . وفى سبيل الغلبة فى هذا الصراع ، التفتت كل منهما الى منطقة الشرق الأوسط ، وبلاد الشرق الأقصى ، والقارة الافريقية ، وهى نظرة عالمية ، بتقدير ذلك العصر ، الذى كان يستبعد الأمريكتين من خارطة العالم ، لأكثر من سبب . وكانت السلطنة العثمانية قد ضعفت وغلب عليها الوهن ، فبدأت كل من فرنسا وانجلترا فى السباق لاغتنام أملاك السلطنة فى الشرق الأوسط . سارعت فرنسا بغزو مصر ، على أن يكون وجودها فيها قاعدة تنطلق منها الى بلاد الشام

حتى حدود السلطنة العثمانية شرقا ، وتندفع منها الى بلاد المغرب العربي حتى ساحل المحيط الاطلسي ( أو الأطلنطي ) غربا ، وتتوئب من ثم الى بلاد غرب أفريقيا ، جنوب الشمال الافريقي الذي تتكون منه بلاد المغرب العربي . ودخلت انجلترا السباق بسرعة ، وخاصة مع خوفها من أن يؤدي الاستقرار الفرنسي في مصر الى قطع الطريق عليها في الوصول الى الهند ، جوهرة التاج البريطاني ، وبلاد الساحل العربي المتاخمة لها ، والتي كانت تكون ساحل عمان ، وصارت دولة الامارات العربية . وسلطنة عمان . وامارة الكويت . وفي سنينيل الغلبة على فرنسا فقد تعاونت انجلترا مع السلطنة العثمانية لمحاربة الفرنسيين واخراجهم من مصر ، وأرسلت أسطولها الذي حطم الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير في أغسطس سنة ١٧٩٨ ، مما أدى الى انحصار الجيش الفرنسي في مصر ، وسهل بعد ذلك أمر خروجه منها ، خاصة لاحتياج فرنسا ، في عهد نابليون ، الى جنودها لدعم انتشارها في أوروبا .

غير أن عجلة الغزو والاحتلال لبلاد الشرق الأوسط ظلت تدور بين انجلترا وفرنسا ، حتى استقرت بعد اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩٠٤ ، فصارت انجلترا

تحتل مصر والسودان ، وهما بلد واحد ، وفلسطين ( واقعيا ثم انتدابا من عصبة الأمم ) باعتبار أنها ( أى فلسطين ) هى الجناح الشرقى لمصر . بينما أصبحت فرنسا تحتل بلاد الشام ( سوريا ولبنان ) وبلاد المغرب العربى ( تونس والجزائر ومراكش الذى تغير اسمها الى المغرب ) . ومن هذه المنطقة تابعت فرنسا احتلالها لبلاد غرب أفريقيا ، التى مازالت — بعد تحررها — ترتبط بفرنسا بأهم رابط ، وهو اللغة الفرنسية التى صارت لفتها ، ودخلت بها فيما يسمى بالفرانكوفونية . أى مجموعة البلاد التى تتخذ من اللغة الفرنسية لغة أولى . فتكون هذه اللغة لسانها وبيانها .

اتخذ الاستعمار ، أو الاحتلال الأوروبى شكلا جديدا ، يناسب عصره ويمهد له سبل المستقبل . فليقد كان الغزاة من قبل يعملون على هزيمة جيش البلاد المغزو ، ولو فى موقعة واحدة ، فتصبح البلد أمامهم مفتوحة ، ومن ثم يعينون فيها حاكما أو أكثر منهم ، ويتركون فيها حامية عسكرية من جنودهم ، توطد سلطة الحكم ، وتكون قادرة على ضرب أى معارضة أو مقاومة لها ، فتستمر فى نهب أموال الشعب المحتل وتسخيره فى تحقيق أهدافها ، بعد أن تجرده من أى قوة ، وتمنعه من تكوين أى فرق عسكرية . وبغير الذهاب بعيدا ،

فإن الجيش العثماني ، وهو جيش الاحتلال السابق والمباصر للحملة الفرنسية ، هزم جيش المماليك بقيادة طومان باي في موقعة الريدانية سنة ١٥١٧ ثم دخل مصر • فدانته له ، وحولها الى اياالة عثمانية ( أى ملكية آلت إليه ) ونقل الخلافة منها الى الأستانة ، ممن قيل إنهم عباسيون الى من سموا بالعثمانيين ، وهم فى الأصل قبائل تتارية • ونهب سليم الأول كثيرا من كنوز مصر ، وتجنفها وآثارها الاسلامية ، كما امتص منها دماء المهارة ومياه الحضارة ، فنقل الى الاستانة ألفا من مهرة الصناع ، الذين كانوا يحملون العلم والفن ، وكانوا يمثلون التقنية ( بالمفهوم المصرى لهذا اللفظ ) • وحكم العثمانيون عن طريق وال يعين من الاستانة كل خامين ، بينما كانت مقاليد السلطة فى يد المماليك • وضربت على مصر الجزية ، فظلت تدفعها حتى سنة ١٩٥٥ ( بطريق الخطأ ) تحت اسم الصدة • • واعتصر الاحتلال العثماني والعسف المملوكى قوى مصر والمصريين حتى أدى الى الحال التى يصفها الجبرتي ، من انحطاط وضعف وجهل •

ومع أن الجبرتي شيخ أزهرى ابن شيخ أزهرى ، أى انه من علماء عصره ، ان لم يكن أعلمهم ، فقد بدا ،

عليه الانبهار وظاهر عليه الاندهاش بكل ما قدمه الفرنسيون . وكان هواه - على ما يظهر من كتابه - ضد العثمانيين والمماليك ، بل وضد الغوغاء والخرافيش والأزاعر ومن سماهم الحشرات ( أى سفلة السفلة ) ، ممن يقال انهم العوام أو العامة ، وهم أكثر الناس .

واضح الأمر أن الفرنسيين قبل أن يغزوا مصر كانوا قد درسوها جيدا ، فتعرفوا الاقليم ، ودرسوا طباع الشعب وأثر الدين فيه وعليه ، ورسوموا خططا شاملة متكاملة للقرار فيه . منها اعادة تخطيط القاهرة ، وانشاء كبار على النيل ، وتأسيس ديوان من المشايخ لإدارة شئون الحكم ( يتسلف مجلس الوزراء ) ، وأجراء مسح شامل للبلد ماديا واجتماعيا ( هو ما قام به علماؤهم الشبان فى كتاب وصف مصر ) ، وشق القنوات وتطهير الخلجان ( ومن ضمن ذلك اعادة فتح القنوات التى تصل النيل بالبحر الأحمر ، وهى التى تطورت الى حفر قناة السويس ) ... والى غير ذلك .

فى حين أن الفرنسيين كانوا دارسين ومستعدين ومستعدين لغزو مصر والقرار فيها ، فإن المماليك ، والعثمانيين ، كانوا فى غفلة كاملة وسلبية تامة وجهالة مطبقة . ذلك أنهم لم يعرفوا شيئا عن فرنسا أو غيرها ،

ولم يصلهم أى خبر عن الغزو الفرنسى ، ونم تكن لهم  
 حامية فى الاسكندرية لصد الغزو ، ولا مواقع فى  
 الطريق الى القاهرة لتعويق الغزاة ، ولم يخرجوا للملاقاة  
 الجيش الفرنسى خارج القاهرة ، ولم يعرفوا أى شئ  
 عن عدده وعدته وأفراده وعتاده ، ولم يرتبوا أى وضع  
 لحال النصر أو حال الهزيمة ، وانما قعدوا - بغير همة -  
 وهو ما تعجب له الجبرتى ، الرجل المدنى غير العسكرى -  
 مراد بك بعصابته غرب النيل فى منطقة امبابية ( لأن  
 الجيزة كانت خطته وحصته ) ، وابراهيم بك بعصابته  
 شرق النيل فى منطقة بولاق ، والمماليك المتجيشون بغير  
 زى موحد ، ولا نظام عسكرى ، ولا ترتيب للجروب  
 الحديثة ، فواجهوا الجيش الفرنسى كعصبة من الهمج  
 أو زمرة من قطاع الطرق التى تهجم على قطار فى  
 الصحراء ، أو تقطع الطريق على قافلة من التجار ، وإذا  
 بهم يواجهون ما لم يسمعوا عنه ولم يدركوا شأنه ، مما  
 وصفه الجبرتى بدقة فقال « الطابور الذى تقدم  
 لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة عندهم فى  
 الحرب وتقارب من المتارين بحيث صار محيطا بالعسكر  
 من خلفه وأمامه ( أى حاصر المماليك ) ، ودق طبوله  
 وأرسل بنادقه المتتالية ( الآلية ) والمدافع ... بحيث  
 خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت ،

واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع الساعة ، ثم كانت ... الهزيمة على العسكر القريبى . ( فى منطقة امبابة ) ، ففرق الكثير من الخيالة ( الفرسان !! ) فى البحر ( نهر النيل ) لاحاطة ( خصار ) العدو بهم وظلام الدنيا ... وفر مراد بك ومن معه « الى الصعيد ، بينما فر ابراهيم بك ومن معه الى بلاد الشام ، فلم يحاول ولو مجرد مناوشة الغزاة .

هل انهزمت مصر فى هذه الموقعة ؟ أبدا ! لقد انهزم المماليك الطفلة المستبدين . انهزم الجهل أمام العلم ، وانكسرت البداوة أمام الحضارة . أما المصريين ، فما ان بدرت لهم البادرة وسنحت لهم السانحة ، بعد سنوات قليلة ، حتى فتح الجيش المكون منهم بلاد الشام واستخلصها من حكم العثمانيين وانتصر فى كل موقعة خاضها حتى بلاد اليونان ، ولم ينهزم قط أو يندحر أبدا ، الى أن طرق أبواب السلطنة العثمانية . ولولا أن تكالبت عليه القوى العالمية لدخل الاستانة واستعاد الخلافة وحكم البلاد التى كانت تحكمها السلطنة فى افريقيا وآسيا وأوروبا . فما بين هزيمة المماليك أمام الفرنسيين سنة ١٧٩٨ وبين سنة ١٨٢٣ ( حيث تدخلت القوى العالمية ) خمسة وعشرين عاما لا غير ( ٢٥ سنة ) .

فما أعجبه وما أعظم شعبا ، استطاع خلال هذه المدة القصيرة أن يحقق كل تلك الفتوح والانتصارات !! انه شعب ينتصر بالعرية وينهزم بالعبودية ، ينسحق بالجهالة وينتفض بالحضارة ، وتلك سمة العناصر السوية ، مهما أخذ عليها أنها لم تقاوم استعباد الفثمانيين والماليك لها ، ذلك لأن قوى الاستعباد ركنت الى تفسير خاطيء للدين وعمدت الى تأويل مغرض للشريعة ، فشل هذا وذاك ارادة الناس وغل عقولهم .

ونتيجة للانحطاط الاجتماعي والانحدار العقلي ، فقد سقطت الأخلاقيات وتدنّت السلوكيات ، فعندما خشى الناس مغبة دخول الفرنسيين الى القاهرة بادر كثيرون بالهروب منها « فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقفتهم العربان والفلاحون فأخذوا أمتعتهم ولباسهم وأحمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته أو يسد جوعه ... وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء ، وفضحوهن وهتكوهن (أى هتكوا أعراضهن) » . فأهل البلد أو الوطن الواحد ، أصحاب العقيدة الواحدة ، لم يغيثوا اخوانهم وأهليهم ، وهم يفرون من الأجنبي الغازي ، وانما وجدوها فرصة ، كوحش تصيد فريسة ،



فسلبوهم ونهبوهم وهتكوا أعراض النساء ، وقتلوا من حاول مقاومتهم أو شرع فى الهرب منهم .

وعندما انس الناس الى الفرنسيين ، وتبينوا أنهم لا يأخذون السلع والبضائع غصبا ونهباً كما يفعل العثمانيون والمماليك ، وانما يدفعون ثمن ما يأخذون بالأسعار التى يشترون بها فى بلادهم ، وهى أكثر من الأثمان التى يتوقعها البائعون ، خالوا فى الأسعار ، ورفعوا فى الأثمان ، ثم زادوا فعرضوا على الفرنسيين شتى أنواع المأكّل والمشارب ، فلما راجت سلعهم ، غشوا وأفسدوا ، فصفروا الخبز وعجنوا الدقيق بنخالته ( أو بترابه ، كما يقول الجبرتي ) .

وعندما أشيع أن الفرنسيين سوف يدخلون من مصر ، اثر اتفاقهم مع العثمانيين ، فى عهد كليبر ، وكما يقول الجبرتي فان « الرعايا وهمج الناس من أهل مصر ... استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيين بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار ، وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصالح مكانا » . وما ان عاملهم العثمانيون وجنودهم حتى ضجوا بالشكوى وأنوا

من المظالم ، وتمنوا عودة الحكم الفرنسى ، ذلك لأنه لم تحدث لهم مظالم ولم تقع عليهم مفارم أثناء هذا الحكم . فى حين أن وطأة الظلم وشدة العنت كانت وظلت تقع عليهم من العثمانيين والمماليك وجنودهم وأشياءهم .

وخلال مرتى الهيجان ، التى يقال انهما ثورتان ، بعث القائد الفرنسى برسائل الى المشايخ ، أعضاء ديوان الحكم ، فلم يرد عليه أحد . ولما وقع الضرب وتحققت الهزيمة سارعوا الى القائد يعتذرون له ويطلبون منه العفو

وكان كل من هذين الهيجانين بفعل الفوغاء والأزاعر والحشرات (بتعبير الجبرتى) بغير قائد يقودهم أو زعيم يسوسهم . وسرعان ما تحولت الى النهب والسلب والخطف فحل بالناس الكرب والبلاء والعذاب .

فهل يقوم أى عاقل بحركة ضد الغزاة - مع ضرورة المقاومة - بغير ترتيب ودون تدبير ، وبلا أى رياسة أو زعامة ، وبغير حساب للمواقب أو توقع للنواتج .

ان أى حرب دون اعداد ، هزيمة ماحقة ، يلحقها المحارب بنفسه وبلده . وأى مقاومة بغير ترتيب

هزيمة ساحقة ، ينزلها المقاوم بنفسه وبلده - وغالبا ما تجهض مثل هذه الهزيمة أو تؤخر أى اعداد آخر لحرب ناجحة أو مقاومة مجدية. فعالة ضد العدو . لكن الغوغائية الهوجاء لا تحسب الوقائع ولا تزن الأمور ولا تقدر النتائج ولا ترى المواقف ، فتندفع فى الهيجان السريع ، الذى يوقع بها الأذى الجسيم ، ثم تسكن سريعا ، كفورة تغور أو نار تغبو .

وهل يسوغ فى أى منطق أن تتحول الثورة ضد المحتل ، سواء كانت لها صبغة وطنية أم كانت عليها مسحة دينية ، الى العدوان على المواطنين الأبرياء بالسلب والنهب والخطف وهتك الأعراض ؟

ويقال دائما ان الحملة الفرنسية أحدثت فى مصر . وفى المشرق العربى ، صدمة حضارية ، وينكر البعض ذلك ، ويدور الكلام اثباتا أو نفيا ، ايجابا أو سلبا فى صورة مرسلّة وهيئة مطلقة ، دون تحديد الأدلة وبغير بيان المراجع . لكن الذى يستفاد من كتابات الشيخ الجبرتى ، المصرى الأزهرى العبدل ، أنه كان يستغرب ويندهش لأشياء كثيرة ، نراها حالا ( حاليا ) ولا ندرك مدى ما كانت عليه من جودة ومدى ما أدت اليه من تغيير . فمما قدمه الفرنسيون :

- ١ - تأسيس ديوان للحكم من كبار المشايخ ، هو ما أصبح يسمى بعد ذلك مجلس الوزراء •
- ٢ - انتخاب رئيس هذا الديوان بدلا من تعيينه • وهذا الانتخاب بتحرير أوراق بالرأى كان غريبا جدا على الجبرتي ، حتى انه سماه القرعة ، لغرابته وعدم وجود اسم دارج له فى اللغة العامة المستعملة آنذاك •
- ٣ - ضبط الأملاك والأعمال والأوقاف ، وتحديد الضرائب بأسلوب منظم عام وقواعد محددة معروفة للجميع •
- ٤ - انشاء محكمة ، سماها الجبرتي ديوانا ، ووضع نظام لادارة الجلسات واثبات أقوال الخصوم •
- ٥ - ارساء مبدأ استقلال القضاء ، بمنح أعضاء الديوان والقضاة والموظفين والسعاة مرتبات مجزية ، مجزية ، تمنعهم من الرشوة أو أخذ الجعول •
- ٦ - قيد أسماء المواليد والوفيات •
- ٧ - اثبات عقود الزواج فى دفاتر رسمية •
- ٨ - الاخطار عن الغرباء والأجانب فى مدى ٢٤ ساعة •

- ٨ - دفن الموتى فى مقابر بعيدة ، بدلا من دفنها  
فى مقابر داخل المساكن أو على مقربة منها .
- ٩ - إلزام الناس دفن الموتى فى حفر عميقة ،  
بعيدا عن سطح الأرض .
- ١٠ - إلزام الناس النظافة من كنس ورش وتبخير  
ووضع الفراش تحت أشعة الشمس على الأسطح لتطهيره  
وتنقيته .
- ١١ - تخطيط القاهرة بإنشاء طرق واسعة تصل  
من وسطها الى أطرافها .
- ١٢ - إنشاء منتزهات عامة ، هى التى تطورت  
فأدت الى إنشاء حديقة الحيوان وحديقة الأورمان ،  
وغيرها .
- ١٣ - إقامة كبار على النيل بطريقة فنية هندسية ،  
تربط البر الغربى ( القاهرة ) بالبر الشرقى ( الجيزة ) .  
وقد انتهزت هذه الكبارى بعد رحيل الفرنسيين فلم يعد  
العثمانيون أنشأها ، حتى تم ذلك فى عهد أسرة  
محمد على .
- ١٤ - إقامة مكتبة عامة بها كتب فى كل العلوم  
والفنون ، وخرائط لكل أنحاء الكرة الأرضية .

١٥ - انشاء المجمع العلمى ، ووضع جميع فروع  
فى منطقة واحدة .

١٦ - استعمال آلات حديثة ، كالعربة الصغيرة  
التي تنقل عليها المواد والأشياء بدلا من وضعها فى  
القصاع ( جمع قصعة ) تحمل على الرؤوس .

١٧ - استخدام موائد عالية عند تناول الطعام ،  
بدلا من الطيليات ( جمع طيلية ) أو افتراش الأرض .

١٨ - استخدام أدوات دقيقة الصنع فى العمل  
العادى ( فئوس و «قزم» ) مما يفيد أن المصريين كانوا  
يستخدمون أدوات رديئة الصنع .

١٩ - استخدام قواعد مستخرجة من علم جر  
الأثقال لانقاذ سفينة غارقة .

٢٠ - استخدام البارود فى الهدم .

٢١ - وجود زى موحد للجنود .

٢٢ - تدريب الجنود على فنون القتال .

٢٣ - استخدام الطبل والموسيقى بأنغام مختلفة ،  
فتم دق للحرب و ثم نغم جنائزى عزف عند تشييع جنازة  
كليبس .

٢٤ - انشاء محكمة لمحاكمة سليمان الحلبي ،  
وعدم قتله فور اعترافه ، بما فى هذه من اجراءات ،  
ومرافعة محام معين من الفرنسيين للدفاع عن المتهمين ،  
ومداولة القضاء ، واعلام المذنبين بالحكم بغد ادانتهن \*  
الى غير ذلك \*

٢٥ - اتباع النشر كوسيلة لاعلام الشعب  
بالقرارات والاحكام ، ولم يقتصر الأمر على المناذاة  
بذلك ، بل نشرها بطريقة واضحة منظمة \*

٢٦ - استعمال المطبعة \* الى آخر ذلك \*  
أما ما لم يستوعب الجبرتى معناه ، ولم يتمثل  
نتائجه ، فهو كثير ، منه توجيه الخطاب الى المصريين  
عامة ، بدلا من توجيهه الى طائفة دون طائفة أو فئة  
دون فئة ، وهو فهم جديد فى وقته ، كان يوطئ  
لعودة الأمة المصرية ، التى شرذمها الاستعباد العثمانى  
وهراها الاستبدلال المملوكى \* ومنه قاعدة انتخاب  
الحكام عموما ، بما يجعل للشعب حقاً فى هذا التعيين ،  
وما لا بد أن يؤدى اليه ذلك من حق مساءلة الحكام  
وعزلهم \* ومنه تقرير مبدأ المساواة بين المواطنين ، وهو  
أساس قيام الدولة المدنية التى تنبنى على حق المواطنة

لكل فرد من أفراد الشعب ، ومساواته مع جميع المواطنين  
 فى الحقوق والواجبات •

هذه العناصر الحضارية ، من مادية ومعنوية ،  
 كانت آفاقا جديدة وأنوارا مبهرة وحوافز مثيرة ، هي  
 التى هزمت عصابات المماليك ، ومهدت الطريق أمام  
 مصر لدخول الحضارة من أوسع أبوابها • هذا بالإضافة  
 الى اكتشاف الحضارة المصرية ، وهو كشف جليل بكل  
 المعايير ، وضع لمصر مكانة عظيمة فى التاريخ الانسانى  
 وجعل لها مكانا مميزا فى عقل وقلب ووجدان كل فرد  
 فى كل أنحاء العالم •

وتبدو العظمة الحقيقية لمصر والمصريين ، فى أن  
 البلد التى كانت اىالة ، أى ضيعة ، مملوكة للعثمانيين  
 وأذناهم من المماليك العبيد ، صار بعد حوالى ٢٥ عاما  
 ملأ السمع والبصر ، وبلدا فعلا مؤثرا فى الوضع  
 السياسى العالمى ، ولم يزل كذلك حتى الوقت الحالى •  
 كذلك فان الشعب الذى كان قد تبعد شيئا وتفرق  
 طوائف ، وصار مجاميع ضالة من الغوغاء والأزاعر  
 والحرافيش ، قد تحول فى سنوات قليلة الى أن يصبح  
 شعبا موحدا متميزا • وفى أواخر القرن التاسع عشر،  
 وحتى منتصف القرن العشرين كان أبناء هذا الشعب



يصنعون الحضارة ويقدمون الاستنارة ، كمنارة عالية  
 وشعلة وهاجة لكل العالم العربى والاسلامى ، وكانت  
 طبقة المثقفين لا تقل عن مثيلاتها فى أى بلد أوربى مثل  
 فرنسا وانجلترا وألمانيا . فكان أبناء مصر هم أفضل  
 الأطباء والكتاب والقضاة والفقهاء والمعلمين والموسيقيين  
 والمفنيين والمحامين والصحفيين والمهندسين والمفكرين ،  
 بحيث أسهموا فى تشكيل كل عقل عربى وساعدوا فى  
 تكوين كل عقل فى العالم الاسلامى، على ترامى أبعاده .

وبعد ١٢٠ عاما من الفتن والهيّاج الذى حدث أيام  
 الحملة الفرنسية انتفضت مصر شعبا واحدا ثائرا  
 واعيا ، فى ثورة ١٩١٩ ، الثورة الحقيقية الشعبية فى  
 تاريخ مصر ، فوضعت أسس الوحدة الوطنية ، والدولة  
 المدنية ، وحكم القانون الذى تأدى الى وضع دستور  
 ١٩٢٣ . وقد كان أثر هذه الثورة بعيدا فعلا ، حتى  
 قال المهاتما غاندى : لقد تعلمنا الثورة من مصر ( يقصد  
 بأسلوبها الواعى الدقيق الذى جمع كل الأمة فى نسيج  
 واحد بغير تفرقة بين مسلم وقبطى ) . ويبدو الأثر  
 الأخلاقى لهذه الثورة فى حالات الايثار واتجاهات  
 التضحية التى هيمنت على الناس جميعا ، فقد كان كل  
 فرد يقدم نفسه ضحية وهو سعيد ، مادام أنه بدمائه

يفتدى حرية وطنه وحرية مواطنيه • ومهما كانت.  
ثورة ١٩١٩ من مثالب ، فانها كانت بوثقة ممتازة  
صهرت الشعب نفسه كله فى وحدة واحدة ، وأسفرت  
عن معدن ممتاز ، فاتجه الشعب نفسه الى صنع الحضارة ،  
بعيدا عن حلبة السياسة وخومة الحزبية ، مع أنهم  
شاركوا فى هذه وتلك بالمرق والدم -

ان بعض الناس أعلنوا أنهم صلوا لله فرخا  
وشماتة فى هزيمة مصر ١٩٦٧ ، بقالة أن هذه الهزيمة  
كانت هزيمة للماركسية التى كانت تعضد وتساند نظام  
الحكم فى مصر ، فى محاولته للصراع مع الغرب  
واسرائيل • وهذا المفهوم الخاطيء بلا شك ، والذى  
يصلى لله لهزيمة وطنه ومصرع آلاف الضباط والجنود ،  
وخسارة مليارات الجنيهات التى دفعها الشعب من ماله  
ليشتري بها الأسلحة والطائرات التى تحطمت فى المداخل  
أو تركت فى الصحراء ، هذا الاتجاه هو الذى يتباكى  
على هزيمة المماليك أمام الجيش الفرنسى • مع أنه اذا  
كان الفرنسيون مستعمرون فان المماليك والعثمانيين  
كانوا مستعبدين • ومع أن كلا من الاستعباد والاستعمار  
بلاء شديد يتعين على الشعب أن يحاربه ويكافحه طوال  
الوقت وفى كل مكان كان ، الا أن دموع التماسيح

تتباكى أسفا على الاستعباد ، لأنه كان يستظل بالدين ،  
وتتشاكى أسى من الاستعمار لأنه كان من رياح غربية •

لن تعرف مصر الحقيقة ، وتتفاعل مع روحها ،  
الا اذا قيمت المسائل بموضوعية وعقلانية ، فتركت  
انفعال الدروشة الى ائزان العقل والخلق • فتدرك مع  
ثم أن الاستعباد والاستعمار ضد الدين والشرع  
والانسانية ، فترفض هذا وذاك ، وتعمل على تحرير  
نفسها بالعلم والأخلاق والانسانية والحضارة •



## من الإمس حتى الغد !

لا يمكن تغيير وضع الا بعد معرفة كل الحقائق عنه • ولا يمكن تعديل وصف الا اثر تحرى كل الأسباب المتعلقة به • وبغير معرفة الحقائق ، ودون تحرى الأسباب ، يتعذر ، ان لم يكن من المستحيل ، أى وصول الى علاج أو تصحيح أو تعديل علمى مفيد منتج فعال •

مقتضى ذلك كشف تاريخ الموضوع ، وتحليل كل أسبابه وعلاقاته وتطوراته ، حتى يتحدد التوصيف ، أو التكييف ، أو التعريف ، فينجح من ثم أى علاج أو تصويب أو تغيير • ففي العصر الحالى ، لا يقطع الطبيب بالعلاج الا بعد الاطلاع على نتائج التحليلات المعملية المتكاملة للمريض ، بحيث يستطيع تحديد الداء ، ثم وصف الدواء • ورجل القانون ، عامة ، لا يمكنه أن يصل الى الحكم الصحيح فى أى نزاع الا بعد تكييفه ، أى وضع الوصف القانونى له ، الذى يصل به الى الحل الأمثل • • • وهكذا •

من هذا المعنى ، فإن التحليل العلمى الواقعى الصحيح للتاريخ ، يكون ضرورة لا صارف عنها لاحداث أى تغيير فعال فى الحاضر . وعلى العكس من ذلك ، فإن الغش والتحايل والخداع فى عرض الماضى ، أو ابتساره أو اختصاره ، يؤدى الى التحريف والتزييف فى حقيقته ، بما يحول دون أى تصحيح للمساوئ التى يسقطها على الحاضر ، ويمنع أى تجنب للمخاطر التى تؤثر فى أحداث الواقع .

العلم يعرف حالا ( حاليا ) ، بل ويؤكد ، وجود ارتباط شديد بين حلقات الماضى والحاضر والمستقبل ، وقيام تأثير واضح بين الأجداد والآباء والأحفاد ، وظهور حلقات متواصلة بين الأمس واليوم والغد . ودراسة تاريخ مصر دليل علمى واثبات يقينى على أن السلوكيات القديمة لم تزل تجزى فى المجتمع ، وأن التراثات السالفة ممتدة الى الحاضر وفعالة فيه . ويعنى ذلك أن تكون دراسة التاريخ ، بحياد وأمانة ، مدخلا لازما لفهم الواقع والتأثير فى الحاضر ، وإمكان تشكيل المستقبل .

ومما سلف سرده من واقعات يؤرخ لها الشيخ الجبرتى ، نتخير بعضا منها يترابط بالحاضر ويتداخل

فيه كى ما يتبين مدى التشابه ، ويظهر وجه التأثير ،  
ويعرف سبيل التغيير ، ان أريد تغيير صحيح .

( أ ) فالفرنسيون كانوا يعرفون الكثير جدا عن  
مصر والمصريين . فقد كان تجار منهم يترددون عليها  
للمتجارة ، لكن الراجح أنه كان مع هؤلاء التجار أو من  
بينهم متخصصون فى دراسة الشعب المصرى ، ودراسة  
مصر ذاتها . وسواء قيل عنهم انهم علماء أو ساسة أو  
جواسيس أو مستشرقين ، فالنتيجة واحدة ، هى أنهم  
( والانجليز كذلك ) عرفوا الكثير عن مصر والمصريين ،  
مما سهل لهم تنفيذ أغراضهم والنجاح فى تحقيق  
أهدافهم . أما المصريون ، والعرب كذلك ، فقد كانت  
لديهم ، ومازال عند الكثيرين منهم ، حالة من الانكفاء  
على الذات والانحصار فى النفس ، تجعلهم يضخمون  
جدا من ذواتهم وأنفسهم ، وينفون الغير تماما ، كأنه  
لا يوجد أبدا .، ولم يوجد قط . فقد كانوا يعممون  
الوصف على الغربيين فيقولون انهم الفرنجة (الافرنج)،  
دون تحديد بلادهم وأجناسهم وشعوبهم ، وبغير دراسة  
علمية متواصلة لكل فرع منهم . فلا توجد دراسات  
استغرابية ( أى للغرب ) على غرار دراساتهم  
الاستشراقية ( أى للشرق ) . والمعلومات عن بلاد الغرب

والغربيين مهوشة مشوشة ، هي تراكم اشاعى ، وتناقض  
سماعى • وحتى الآن ، فان الكثيرين يرفضون دراسة  
الشرائع اليهودية والمسيحية وغيرها ، ويحكمون عليها  
بغير علم • ومع وجود اسرائيل على حدودنا الشرقية ،  
لا توجد أكاديمية لدراسة تاريخها وشعبها وأحزابها  
وكيفية التأثير عليها ، فى حين أن كثيرا من الاسرائيليين  
متخصصون فى اللغة العربية والشريعة الاسلامية  
والحياة المصرية • • وهكذا •

هذا الجهل بالغير ، وذلك النفى للآخر ، مما يخيّل  
معه للمصريين والعرب أن الآخر غير موجود وأن الغير  
ليس مؤثرا ، فاذا ما فوجئوا بالحقيقة اضطربوا  
واختلطوا ، وذهبوا مذاهب شتى ، ليس منها مذهب  
واحد صائب أو سليم •

فى العصر الحالى ، وعندما بدأت الحرب العالمية  
الثانية ، شاع بين المصريين أن ايطاليا ليست الاجزمة  
(أى حذاء) • وكانوا فى ذلك يخلطون بين شكل الأراضى  
الايطالية ، التى هى أشبه بساق يمكن وصف قدمه  
بالحذاء أو الجزمة ، وبالحداء ذاته ، أو الجزمة ، وهو  
وصف يقصد به تحقير الايطاليين والتهوين من شأنهم •



.. وعندما كنت تلميذا في رياض الأطفال قال لنا  
مدرس عن باريس ، التي كان الألمان قد احتلوا ، انها  
مدينة ساحرة ، شوارعها من البلور ، وهى شوارع  
تتحرك من مكان الى آخر . وقد جهدنا كأطفال فى أن  
نتصور ذلك فذهب بنا التخيل والتخيل كل مذهب  
شارد ، مع أن الأسلوب التربوى الصحيح يعنى بأن يقدم  
الى الأطفال معلومات حقيقية ، ومفاهيم صحيحة ، وأن  
يثير خيالاتهم بصورة علمية بناءة ، حتى تتكون لهم  
عقول سوية وتتشكل لديهم ملكات صحية . وبعد مرور  
أعوام طويلة ، وعندما زرت باريس أول مرة ، تذكرت  
ما قاله لنا ذلك المدرس ، فأدركت أنه وغيره ، خلط  
المجاز بالحقيقة ومزج التشبيه بالواقع . فلا بد أن بعض  
من زار باريس من أبناء مصر فى العشرينيات  
والثلاثينيات رأى شوارعها نظيفة لامعة ، بالمقارنة  
بشوارع وحوارى القاهرة وغيرها ، فقال ان شوارع  
باريس بلور . لكن الذى سمع لم يدرك أن لفظ بلور  
هذا تشبيه وليس حقيقة ، وأنه مجاز وليس واقع ،  
فتكلم ، بل وبث فى عقول الأطفال ، معنى مخلوطا  
وفهما مخلوطا . وهذا وحده مثل ماذى واقعى صحيح  
لسوء التقدير فى فهم الغير . أما الشوارع التى تتحرك  
فى باريس ، فأنها ممر طويل ( فى محطة مترو

مونبارناس ) يقف عليه الركاب فيسير بهم ، بقوة الكهرباء ، ليوفر عليهم الحركة . وهو أمر صار شائعا في أغلب مطارات العالم ( كمطار كتيدي بنيويورك ، ومطار أمستردام ، ومطار زيورخ وغيرها ) . فالذى قال عن الممر انه شارع يتحرك أوقع في عقول السامعين أن شوارع باريس تتحرك ، مما ألهب الخيالات بأمور غير واقعية ومفهوم غير حقيقى ، قد تترتب عليها أفعال وأقوال ، تصير مثل بيوت من الرمال ، وتكون أقرب الى نسيج من الخيال .

( ب ) جاء فى تاريخ الجبرتى أن حكام مصر من المماليك لم يكونوا مستعدين للقتال أبدا ، ولم يتهياؤا للمعركة مع الفرنسيين ، ولم يضعوا أى ترتيب لحماية مصر من أى عدوان . فلم يقيموا فى الاسكندرية حامية لصند أى عدوان ، ولم يرسلوا أى مقاتلين ( لأنهم لم يعرفوا الجيش بالمعنى العصرى ) لتأخير الجيش الفرنسى فى الطريق الى القاهرة ، ولم يعرفوا عن هذا الجيش أى شىء يتصل بعدده أو عدته أو نظامه أو ترتيبه أو طريقته فى القتال ، حتى ان الجبرتى وهو يصف معركة أمبابة قال ان الفرنسيين تحركوا وفق نظام وترتيب لديهم ، بما يعنى أنه ، وهو العالم الأزهرى ، لم يكن

يعرف هذا الترتيب أو ذلك النظام ، واعتبر أنه خاص بالفرنسيين وليس هو الأسلوب العصري تلجيوش والقتال . وكان من نتيجة اتباع الفرنسيين نظاما علميا حديثا فى المعركة أنهم أحاطوا بالماليك ، أى حاصروهم ، فهزموهم فى ثلاثة أرباع الساعة ، وسقط الخيالة ( الفرسان ) الماليك فى ماء النيل وغرقوا .

وهذا الذى حدث فى عصر الحملة الفرنسية ، من الماليك ، تكرر بعد ذلك فى التاريخ المصرى الحديث أكثر من مرة .

ففى سنة ١٩٤٨ دخل الجيش المصرى الحرب مع اسرائيل وهو يصفها بأنها عصابات ، مع أنها كانت تملك جيشا أكثر عددا وأفضل عتادا من كل الجيوش العربية . ولم تعرف البلاد العربية كلها ، بما فى ذلك مصر ، أى معلومة عن قادة الجيوش الاسرائيلية ، أو أسلحتهم ، أو تعليمهم . ولم يكن لدى الجيش المصرى من الدخائر ما يصل به الى مدينة غزة ، واعتمد الحكام فى دخول الحرب على وعد من الانجليز ، غير مكتوب أو مؤكد ، بفتح مخازن أسلحة الجيش البريطانى فى الاسماعيليه أمام الجيش المصرى ، وهو ما لم يحدث . وفرح المصريون بتقدم قواتهم فى الأراضى الفلسطينية ،

مع أنه كان تقدما بغير قواعد ودون ثوابت ، فجعل الجيش مكشوفاً ، يسهل قطع الامدادات عنه وحصاره ، وهو ما حدث بالفعل .

وفى سنة ١٩٥٦ ، وعلى الرغم من اجتماع قادة من بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى ضاحية سيفر خارج باريس ، وترتيب خطة حرب أكتوبر ١٩٥٦ ، فان مصر لم تعرف شيئاً عن ذلك فى حينه . وقيل ان المالحق العسكرى فى باريس أرسل الى القيادة السياسية ما يؤكد وقوع العدوان ، غير أنها لم تتأكد من ذلك الا عندما شاهد رئيس الجمهورية فوق سطح مسكنه طائرات بريطانية مهاجمة .

وفى سنة ١٩٦٧ كان أمر الحرب مؤكداً ، فان غلق الممرات البحرية الدولية يمتدبر عملاً من أعمال الحرب ، وقد أعلنت اسرائيل أن غلق مضائق تيران هو عمل من أعمال الحرب ضدها ، وشكلت وزارة حرب بالفعل ، بل وفكر رئيس الجمهورية المصرية أنه علم أن اسرائيل سوف تهاجم مصر صباح ٥ يونيو ، وأنه أخطر القادة العسكريين بذلك . لكنه انصرف لبحاله بعد أن أخطروهم ، فلم يطلب وضع خطة عسكرية ، ولم يأمر باتخاذ ترتيبات خاصة ؛ ولم يسهر للتصرف ازاء الهجوم الذى

كان متيقنا منه • ولم يتخذ القادة العسكريون أى احتياطات أو تدابير لاحباط الهجوم ، بل ان قائد الجيش كان يحلق بطائره فى أجواء المعركة مما شل أجهزة الدفاع الأرضى عن ضرب الطائرات المغيرة على الطائرات المصرية الرابضة فى مدارجها • بل وقيل فى ذلك ان مصر كانت تنتظر العدو من الشرق فاذا به يجىء من الغرب ، وهو أمر غير صحيح ، مما يؤكد أن القيادة السياسية والعسكرية ، حتى يوم ١٠ يونيو ، لم تكن تعرف كيف حدث ضرب الطائرات المصرية فى مدارجها ، مما أنهى الحرب فى بضع ساعات ، كما انتهت مقاومة المماليك للفرنسيين فى ثلاثة أرباع ساعة • وما أشبه الليلة بالبارحة ، مادام أسلوب التفكير والتصرف واحد ، لم يتغير ولم يتبدل ، وانما صار نهجا دائما وأبلا مستقرا •

(ح) ويقول الجبرتي ان عامة الناس كانوا يقفون الى جوار ساحة المعركة فى امبابة وهم يصيحون ويصرخون ، وينص فى ذلك تحديدا « كأنها كانوا يحاربون بصياحهم » • وهذا التصرف بالذات ، أخطر سلوك المصريين والحرب • فهم يعتقدون أن الصوت مكافئ للجميل ، وانه كلما علا الصوت فقد تأكد العمل،

وبذلك يصبح الصباح عملاً لديهم ، ويكون الصراخ فعلاً  
فى تقديرهم \*

فالمصريون ، والعرب ، حتى الوقت الحالى ، والى أن  
يغيروا أنفسهم ويبدلوا طبائعهم ، ظاهرة صوتية ،  
وعارضة لفظية ، ونازلة مرضية \*

( د ) ويقول الجبرتى ان المصريين لما رأوا  
الفرنسيين يسرون بينهم بغير أسلحة ودون عنف أنصبوا  
اليهم فعرضوا عليهم البضائع من دجاج وبيض وغيره \*  
واذ تبينوا أن الفرنسيين يدفعون فيما يشترون أسعارا  
أعلى من السعر العادى ، قياساً على أسعار بلادهم ،  
إذا بهم ( المصريون ) يغالون فى الأسعار ويرفعون فى  
الأثمان ، وهو غش واستغلال وعدم أمانة \* إضافة الى  
ذلك فان الجبرتى يقول ان بعض سيئى الخلق من  
المصريين خبزوا للفرنسيين الدقيق بترايه ، وصغروا  
فيه ، وهو - كذلك - غش واستغلال وعدم أمانة \*

وهذا الذى حدث مع الفرنسيين - قبل قرنين -  
مازال يحدث من المصريين مع المصريين ، ذلك بأن كل  
الناس فى مصر تشكو من غش الأغذية وغش الأدوية  
وغش الأقمشة وغش الحديد وغش الأسمنت وغش  
الموازين وغش المكاييل ، أى الغش فى كل أنواع

الصناعات والمأكولات. والمعاملات ، وهو أمر لا سبيل  
لبدفعه ولا طريق لعلاجه ، لعدم وجود نظام خلقى مانع  
وعدم وجود نظام قانونى رادع ، وثبات التراث السلفى  
المخادع .

فالمسألة فى الغش وعدم الأمانة متأصلة من قديم.  
كان التحضر قد أخفاها وكان القانون قد واراها ، فما  
ان ذهب التحضر وسقط القانون ، حتى عادت سيرتها  
وعاودت سنتها .

هـ) ويقول الجبرتى انه ما ان سمع المصريون أن  
الفرنسيين سوف يتسحبون من مصر اثر اتفاقهم على  
ذلك مع العثمانيين حتى أظهروا العداوة للفرنسيين  
وقلبوا أهم ظهر المجن ، وكانوا يسبوهم ويهينوهم ولم  
يتركوا للصالح ( أو لحسن العلاقات ) مكانا . مع أن  
المصريين ذاقوا الأمرين من العثمانيين ومن المماليك  
ورأوا منهم مظالم ومساوئ يشيب لهولها  
الولدان ، ويتحدث بفظائعها الركبان . فيما بعد ،  
عندما انسحب الفرنسيون ودخلت عساكر العثمانيين  
قابلهم المصريون بالبشر والترحاب وكانت النساء  
تزغرد ، كما يقول الجبرتى ، كمادتهم فى توسم الخير  
من الجديد ( مع أن العثمانيين والمماليك وجنودهم ليسوا

جندا عليهم ) \* وما هي الا فترة قليلة حتى أدرك  
المصريون سوء فعل أوباش العثمانيين - كما يصفهم  
الجبرتي - وغلظة تصرفاتهم ، وشدة طغيانهم ، فتمنوا  
عودة الحكم الفرنسى \*

ما الذى يمكن أن توصف به هذه الصورة ، وما  
الذى يمكن أن يقال فيها ، غير أن الناس كانوا ،  
مازلوا ، لا يعقلون الأشياء ولا يدبرون الأعمال ،  
ولا يحسبون الأقوال \* انهم رعناء حمقى ، كريش فى  
مهب الريح ، يميل فى أى اتجاه ويضيع مع أى رياح \*  
وحتى الآن ، فان الصورة التى رسمها الجبرتي بقلمه  
تتكرر دائما دون أى تعلم ، وتتوالى أبدا بغير أى تدبر ،  
وهو حال لا بد من وقوعه واستمراره مادام العقل فى  
الآذان ، والفعل فى اللسان ، والوعى فى اللازمان  
( أو فى خبر كان ) !

( و ) ويثبت الجبرتي أنه خلال الهيجانين الذى  
حدثا ، وقت قيادة نابليون وأثناء قيادة كليبر ، أرسل  
كل من القائدين رسائل الى المشايخ الذين يتكون منهم  
الديوان الذى أنشأوه لحكم مصر ، فلم يتلق ردا على  
رسائله ، مما دعاه الى ضرب الهياج ومناطقه \* فلما



وقعت الهزيمة ، هرع الشيوخ الى القادة الفرنسيين  
يمتدرون اليهم ويطلبون منهم السماح ،

وان أى شخص فى مصر ، مصرى أو غير مصرى ،  
لتتكرر معه هذه الصورة نفسها ، اذ ينقلب عليه الناس  
ان استشعروا فيه ضعفا أو زوال منصب أو ضياع مال ،  
فان عاد قويا الى وضعه الأول ، يادروا بالاعتذار وطلب  
السماح . فهل لهذا التقلب فى التعامل اسم غير  
النفاق ؟ وهل زال من مصر هذا النفاق ، أم انه داء  
متمكن يجرى فى الدماء ويسيل مع كل شربة ماء ؟  
ويأخذ صوراً متعددة ، بل وتبرره الأمثال الشعبية التى  
تعتبر أفضل تشخيص اجتماعى Social Identification  
فحقول : الايد ( الايد ) الى ما تقدرشى تقطعها بوسها .  
اللى يتجوز أمى أقول له يا عمى . ان كنت فى قوم  
بيعبدوا عجل حش واديله . فى الوش مراية وفى القفا  
سلاية .

فهل فى هذا النفاق الضارب ، وفى أرض النفاق  
( وهو عنوان رواية وفيلم مصريين ) يمكن أن يأمن أحد  
الى مشاعر وفاء ، أو يركن شخص الى مظاهر ولاء ؟

( ز ) ويقول الجبرتى انه اثر « الهيجان » الثانى ،  
وبعد أن قضى عليه الجيش الفرنسى ، ثم أعطوا الناس

آبانا ، اجتمع قائد الجيش بالمشايخ فى اليوم التالى ، فوبخهم واتهمهم بالرياء والتفاق ، وأنهم يظهروا غير ما يبطنون ( تقية !! ) ، كما أنه لا نفع منهم ولا جدوى فيهم ، ثم فرض عليهم غرامات مالية • فاذا بهم ينهارون ويتمنون لو لم يكونوا شيئا ( أى تمنوا العدم ) وبال بعضهم على ثيابه •

أفليست هذه صورة حية ، واضحة ظاهرة ، كائنة قائمة ، حتى الآن ، استئساد واستقواء فى حال • ثم استنماج واستضعاف فى انحال المخالف ، بغير أى ثبات فى الخلق أو وضوح فى التصرف ؟!

( ح ) وينقل الجبرتى نص كتاب أرسله الشيخ السادات ( أحد كبار المشايخ ) الى الوزير العثمانى ، وفيه يقول ( السادات ) انه نقض عهده مع الفرنسيين ، مع أنه سليل النبوة ، وأطاع العثمانيين فى فجرهم وأعانهم على ظلمهم ، حتى جاهد جنودهم فى الملاهى وأماكن الموبقات ، واستولوا على أموال الناس وطعامهم •

فكيف يمكن أن يعين أحد كبار القوم ظالمين على ظلمهم ويساعد فاسقين على فسقهم ، وهو يعلم ذلك ،

ويعترف أنه ينقض عهدا ينبغي ان يحفظه ؟ أليس هذا  
الذى حدث من الشيخ السادات سلوكا عاما ووضعنا  
ممتدا قائما حتى الآن ؟! فقلما يفي واعد بوعده ، أو  
ينفذ عاقد ما تعاهد عليه ، حتى لتعتبر الوعود لغو  
حديث ، وتعد العقود حبرا على ورق . ومن جانب آخر ،  
فان الطغاة والظالمين والمفسدين - حتى الآن - يجدون  
من يبرر لهم «لغيانهم أو يساعدهم على الظلم أو يعينهم  
على الفساد وهو يعلم حقيقة ما يفعل ، لكنها المداينة  
والرغبة فى نوال حظوة لدى المستبدين ، تعمى البصائر  
وتغشى الضمائر !

( ط ) ويقول الجبرتي ان عسكر العثمانيين  
( الأرناؤوط والتتار وغيرهم ) احتكروا البضائ  
لأنفسهم ، وصاروا يبيعونها الى الناس بأغلى الأثمان  
هذا فضلا عن أنهم ، ورؤساهم ، كانوا يشاركون التجار  
والحرفيين فى أعمالهم . وهذا الذى حدث منذ قرنين  
مازال يحدث حتى اليوم ، فكثير ما يحتكر بعض مراك  
القوى ومحاور السلطة وقواعد النفوذ أقوات البام  
وحاجاتهم ، وان تخفوا تحت اسم آخر ، ثم يبيعوها الى  
الناس بما يشاءون من أسعار . هذا فضلا عن أن نظا  
مشاركة السلطة للتجار والحرفيين هو أساس الاقطاع

الادارى ، والتزاوج بين السلطة والأعمال ( الشغل أى  
 البزىنيس Buisiness الذى صار شبه قاعدة عامة  
 فى كثير من النظم فى البلاد العربية كافة .

(ى) ويصف الجبرتى بمرارة شديدة متاعب الناس  
 مع رجال السلطة للحصول على تأشيرة أو خاتم ، مما  
 يقتضيهم دفع كثير من الرشاوى ، أو ترك مصالحهم  
 نهائيا ليأسهم من الوصول الى العدل والحصول على  
 الحق . وهو وصف لا يحتاج الى أى تعليق ، لأنه حال  
 قائم مستمر يعرفه المصريون جميعا ، ويشكون مر  
 الشكوى من الروتين والرشاوى وتعطيل الأعمال .

ثم ماذا ؟ ان فى مآثوراتنا أن الاعتراف بالحق  
 فضيلة ، وأن الحق أحق أن يتبع ، لكننا مع ذلك لا نحب  
 أن نستمع الى الحق ، أو أن نتبع سبيله ، وانما نقول  
 شيئا ونفعل شيئا آخر . فالقول لدينا منفصل عن  
 العمل تماما ، وبين القول والعمل فصل كبير ويثر  
 عميق ، وهذا فى التقدير السليم أول وأهم سوالبنا ،  
 التى ينبغى أن تلتفت اليها وأن نتغلب عليها . فالمثالب  
 الاجتماعية والسوالب الأخلاقية كالأداوم الجسمية  
 والأمراض البدنية ، اذا ما تم تشخيصها بعلم وأمانة ،  
 وتوصيفها بدقة وصراحة ، أمكن تخطيها بشجاعة

ووضوح . أما ان لم يحدث ذلك ، فسوف تظل أبد الدهر . وهى أدواء متمكنة ، وأمراض متوطنة ، وأعراض متزمنة .

فى ثقافتنا وتراثنا ايجابيات بغير شك ، لكن كثرة ترديدها والالاحاح عليها يفضى عن الصواب ويعمى عن الحقيقة . ومن الأصح والأسلم أن نعيد فرز عناصر ثقافتنا ، بوعى وعلم حتى نستبقى الصائب منها ونستبعد السالب فيها . مثل هذا العمل يقتضى الصدق ويلتزم الأمانة ، والا أفلت منا زمام أنفسنا وقياد بلادنا .

لقد كانت الحملة الفرنسية بالأمس صدمة حضارية ونحن اليوم فى غربه حضارية ، لكننا فى الفد سوف نواجه صعقة حضارية ، ما لم ننتهيا بالاصلاح والاستعداد ، الذى ينبغى أن يبدأ بالصدق فى القول والصدق فى العمل ، أى بالأخلاق والضمائر ، ثم يختط سبيله بالعلم والتقنية .

من يتابع المجالات العلمية العالمية ، والبرامج العلمية فى القنوات الفضائية الدولية ( مثل برنامج Science and Technology ) فى قناة E.N.N وبرنامج Future File ، وبرنامج Euro news فى قناة 2000

في قناة CNBC وغيرها ) لا بد أن يدهش ويذهل من كثرة الاكتشافات التقنية وتنوعها ، وانتشارها ، وهي اكتشافات لا يشترك فيها العرب ولا يسهم المصريون ( إلا نادرا ) • وبعد فترة قليلة ، عشر سنوات على الأكثر ، سوف نفاجا بأن العالم كله في الغرب الأدنى والأقصى ، وفي الشرق الأقصى كله ، يتكلم لغة لا نعرفها ولا نفهمها ولا نستطيع التعامل بها ، هي لغة العلم الجديد ولغة التقنية الحديثة • وعند ذلك سوف نلوم كل الناس إلا أنفسنا ، ما دمنا لم نغير ما في نفوسنا من عيوب ولم نبذل ما في ثقافتنا من عوار • لكن العالم كله سوف يلتفت عنا ويعرض عن صراخنا تماما • • ونكون بذلك مثل النعامة تضع رأسها في الرمال حتى لا ترى الحقيقة ، الى أن تتمكن منها الحقيقة ، وتصيبها ثم تقضى عليها ، بالصعقة الحضارية •

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
مقدمة	٧
مصر قبل الحملة الفرنسية	٢٥
الوضع العام فى مصر	٣٠
الفرنسيون فى مصر	٤٥
الترتيبات الادارية والانشاءات المادية	٥٦
ثورة المصريين على الفرنسيين	٦٥
محاكمة سليمان الحلبي	٨٥
الخطاب الفرنسى للمصريين	١٠٣
مصر بعد خروج الفرنسيين	١٢٣
الثقافة السمعية والحملة الفرنسية	١٤٣
الحملة العسكرية والصدقة الحضارية	١٦٧
من الامس حتى الغد	١٨٧
	٢٠٥





## صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ .  
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر .  
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة :  
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة .  
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى .  
عليه عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ .  
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي .  
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية .  
د . علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطلوبة من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .  
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية .  
محمود فوزي ، ١٩٨٧

- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية  
شكري الماضي ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير  
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - أكلوبه الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية  
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قبام الكولة  
الطولونية  
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي  
د. علي حسنى الخربوطي ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر : دراسته  
عن دور الجمعية الخيرية ( ١٨٩٢ - ١٩٥٢ )  
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني  
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية  
د. علي السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين  
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين  
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي  
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ، ج ١  
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

- ٣٢ - نظرات في تاريخ مصر .  
جمال بدوي ، ١٩٨٨
- ٣٣ - التصوف في مصر ايان العصر العثماني ج ٢ ، امام التصوف  
في مصر : الشعرواني .  
د . نوفيقي الطويل ، ١٩٨٨
- ٣٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ( ١٩١٩ - ١٩٣٦ ) .  
د . نجوى كامل . ١٩٨٩
- ٣٥ - المجتمع الاسلامي والغرب ،  
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د . أحمد  
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٣٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة ،  
د . سعبد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٣٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،  
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد  
١٩٨٩
- ٣٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ .  
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد  
١٩٨٩
- ٣٩ - مصر في عصر الاخشيديين ،  
د . سيده اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون في مصر في عصر محمد علي ،  
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،  
شكري القاضي ، ١٩٨٩

- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،  
لمى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع  
الراهنة وروية مستقبلية ،  
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩ .
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة  
حتى عام ١٩١٢ ،  
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،  
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب ، ج ٢ ،  
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم  
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية  
فى ربع قرن ،  
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر  
العثمانى ،  
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان ( ١٨٢٤ - ١٨٢٧ ) ،  
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،  
د. عبد المنعم الدسوقي الجيمى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،  
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١

- ٤٢ - تكوين مصر عبد الحصور ،  
محمد شميى غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرىة ،  
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،  
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،  
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د. حسن حبشى ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ( ١٩٣٩ - ١٩٥٧ ) ،  
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،  
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بن العصر القبطى والعصر الاسلامى -  
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية ( ١٩٤٨ - ١٩٧٩ ) ،  
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية ( ١٩٤٦ - ١٩٥٤ ) ،  
د. سهر اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،  
( أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس  
الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١ ) أعدها للنشر :  
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، في القرن الثامن عشر ،  
 د . الهام محمد علي ذهني ، ١٩٩٢
- ٥٣ - اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،  
 د . محمد كمال الدين عز الدين علي ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني ،  
 د . محمد عفيفي ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،  
 تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشي ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي : دراسة عن اقليم المنوفية ،  
 د . حلمي أحمد شلبي : ١٩٩٢
- ٥٧ - مصر الاسلامية واهل الامة ،  
 د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،  
 د . ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم ( ١٩٥٧ - ١٩٦١ ) ،  
 د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،  
 عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،  
 د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،  
 لمى الطيعي ، ١٩٩٣

- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،  
تأليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور .  
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم  
رمضان ، ١٩٩٣ .
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة  
وثائقية ،  
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ( ١٨٩٧ - ١٩١٧ )  
سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي  
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،  
( أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس  
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البناء  
جامعة عين شمس ، في أبريل ١٩٩٣ ) أعدها للنشر  
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،  
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د . حس  
حبشى ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية ( ١٨٨٦ - ١٩٥١ )  
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - اهل الازمة في الاسلام ،  
تأليف : أ . س . تروتون ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ،  
ط ٢ ، ١٩٩٤

- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن ( ١٩٣٤ - ١٩٤٦ ) ،  
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد  
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر  
في العصر الفاطمي ( ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ ) ،  
أمانة أحمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،  
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني  
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - اهل الدمة في مصر ، في العصر الفاطمي الاول ،  
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى ( زمن الاحتلال  
البريطانى ) ،  
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،  
تأليف : وليم العسورى ، ترجمة ونعليق : د. حسن  
حبشى ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية ( ١٨٧٣ - ١٨٩٩ ) ،  
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،  
تأليف : فريد دى بونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى  
الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قنسة السسويس والتنافس الاستعمار الأوروبى  
( ١٨٨٢ - ١٩٠٤ ) ،  
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥



- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،  
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ،  
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،  
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الاول ،  
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،  
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤) ،  
د. أحمد الشرييني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ٢ ، ( ١٩٣٤ - ١٩٤٦ ) ،  
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التلوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،  
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،  
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية ،  
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،  
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي  
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ( ١٩١٩ - ١٩٣٦ )  
ج ٢ ،  
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري ( ١٩٢٤ - ١٩٥٨ ) ،  
د . نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية ( ١٩٤٦ - ١٩٥٤ ) ،  
ج ٢ ،  
د . سهر اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وأفريقيا .. الجدور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،  
( أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس  
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات  
الأفريقية بجامعة القاهرة )  
أعدتها للنشر د . عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة ( ١٩٥٨ - ١٩٧٠ ) ،  
تأليف : مال كولوم كير ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من  
القرن التاسع عشر ،  
د . إيمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،  
د . محمد سيد محمد
- ٩٩ - تاريخ الطب والتصيدلة المصرية ( العصر اليوناني -  
الروماني ) ج ٢ ،  
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،  
 أ . د . عبد العزيز صالحي ، أ . د . جمال مختار ،  
 أ . د . محمد إبراهيم بكر ، أ . د . إبراهيم نصحي ،  
 أ . د . فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ . د . عبد العظيم  
 رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،  
 اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد  
 كفاي ، اللواء / سعد عبد الحفيظ ، السفير / جمال منصور  
 ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،  
 د . تيسير أبو عرجة  
 ١٠٣ - رؤية الجبروتى لبعض قضايا عصره ،  
 د . على بركات  
 ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر ( ١٩١٤ - ١٩٥٢ ) ،  
 د . فاطمة علم الدين عبد الواحد  
 ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية ( ١٨٥٥ -  
 ١٩٨٧ ) ،

د . أحمد فارس عبد المنعم  
 ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية  
 في ربع قرن ، ج ٢ ،  
 د . سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ،  
 تأليف : دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال  
 ١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،  
 سليم خليل النفاش  
 ١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥ ،  
 سليم خليل النفاش

- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية ( عصر سلاطين المماليك ) ، ج ١ ،  
د . البيومي اسماعيل الشرييني
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية ( عصر سلاطين المماليك ) ، ج ٢ ،  
د . البيومي اسماعيل الشرييني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي ،  
د . محمد محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان ( في عصر الحكم المصري ) ،  
د . اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ،  
أحمد رشدى صالح
- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،  
أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسعق ( عاشق الحرية ) ،  
علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية ( ١٥١٧ - ١٧٩٨ ) ،  
عبد الرازق ابراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك .  
د . البيومي اسماعيل
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية ،  
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث  
لويس جرجس
- ١٢١ - معركة الجلاء ووحدة وادى النيل ( ١٩٤٥ - ١٩٥٤ )  
د . محمد عبد الحميد الحناوى

- ١٢٢ - مصر للمصريين ج ٦  
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد احمد البتوى  
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن  
د. محمد نعمان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج ٧  
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨  
سليم خليل النقاش
- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية ( ١٩٤٣ - ١٩٥٨ )  
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
- ١٢٨ - معارك صحفبة  
جمال بندوى
- ١٢٩ - الدين العام ( وائره فى تطور الدين المصرى )  
( ١٨٧٦ - ١٩٤٣ )  
د. يحيى محمد محمود
- ١٣٠ - تاريخ نقابات اللنانين فى مصر ( ١٩٨٧ - ١٩٩٧ )  
سمير فريد
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ ( ١٩٥٢ - ١٩٥٨ )  
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرؤف أحمد عمر
- ١٣٢ - دار المنسوب السامى فى مصر ج ١ ،  
د. ماجدة محمد حمود
- ١٣٣ - دار المنسوب السامى فى مصر ج ٢ ( ١٩١٤ - ٢٤ )  
د. ماجدة محمد حمود

- ١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى  
مخطوطة « ضياء نامة » للدار ندى  
بقلم / عزت حسن أفندى الدار ندى  
ترجمة / جمال سعيد عبد الغنى
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجيزة  
( ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م )  
د . محاسن محمد الوقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق  
تقديم د . د . عبد العظيم رمضان
- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي  
د . محمد عبد الغنى الأشقر
- ١٣٨ - الإخوان المسلمون  
وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر - السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين  
محمد قاييل
- ١٤٠ - سياسة مصر فى البحر الأحمر .  
فى النصف الأول من القرن التاسع عشر - طارق  
عبد العاطى غنيم .
- ١٤١ - وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك  
لطفي أحمد نصار .
- ١٤٢ - مذكراتى فى نصف قرن ج ٢  
أحمد شفيق باشا .
- ١٤٣ - ديبلوماسية البطالة فى القرنين الثانى والأول ق م .  
د . منيرة محمد الهمشرى .
- ١٤٤ - كشوف مصر الأفريقية  
فى عهد الخديوى اسماعيل ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ) -  
د . عبد العليم خلاف .

- ١٤٥ — النظام الإدارى والاقتصادى فى مصر  
فى عهد دقلديانوس ( ٢٨٤ — ٣٠٥ م ) —  
د . منيرة محمد الهمشرى .
- ١٤٦ — المرأة فى العصر المملوكى  
د . أحمد عبد الرازق
- ١٤٧ — حسن البنا ( متى ٠٠ كيف ٠٠ ولماذا ؟ )  
د . رنعت السعيد
- ١٤٨ — القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية  
تأليف / د . سمير فوزى  
ترجمة / نسيم مجلى
- ١٤٩ — العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر  
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ — تاريخ الموسيقى المصرية أصولها وتطورها  
د . سمير يحيى الجمال
- ١٥١ — جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة  
السبد يوسف
- ١٥٢ — الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية  
( ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ — ١٥١٧ م )  
د . محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ — الحروب الصليبية ( المقاتل السياسية )  
د . علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية في  
العصور الوسطى

د. علية عبد السميع الجنزوري

١٥٥ - عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر  
١٨٠٥ - ١٨٨٣

د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، الجزء الثالث في العصر  
الاسلامي

د. سمير يحيى الجمال

١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، الجزء الرابع في العصر  
الاسلامي والحديث

د. سمير يحيى الجمال

١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في مصر (١٦٤٨ - ١٩٢٣ هـ /  
١٢٥٠ - ١٩١٧ م)

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢ م) الجزء الاول

د. محمد فريد حشيش

١٦٠ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢ م) ج ٢

د. محمد فريد حشيش

١٦١ - السيف والنار في السودان تأليف سلطان باشا



١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان

( ١٩٣٦ - ١٩٥٣ )

د . تمام همام تمام

١٦٣ - مصر والحملة الفرنسية

المستشار / محمد سعيد العشماوى

١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ

( أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة

بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة

القاهرة د ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ ) •

١٦٥ - التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر

سامى سليمان محمد السهام

١٦٦ - مذكرات معتقل سياسى

صفحة من تاريخ مصر

السيد يوسف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥١٠٩/١٩٩٩

ISBN — 977 — 01 — ٥499 — 2



هذا الكتاب يحمل رؤية تاريخية للثورة الفرنسية أكثر  
مما يحمل تاريخاً للحملة الفرنسية، فالمستشار محمد  
سعيد العشماوى مفكر مصرى وليس مؤرخاً، وبالتالي فلا  
ينبغي للقارئ أن يتوقع قراءة كتاب تاريخ مما تعود أن  
يقرأه، بمعنى تحقيق تاريخى لأحداث الحملة الفرنسية على  
مصر، وإنما سيقراً رؤية مفكر مصرى وتأملاته للحملة  
الفرنسية، وهو منهج مختلف للكتابة، ولكن له طलाوته  
وأهميته.

والكتاب بذلك يقدم تحليلاً ممتازاً للمجتمع المصرى  
بنظرة مفكر، وهو جدير بالقراءة.

Bibliotheca Alexandrina



0334443

مطابع الهيئة المصرية

٣٠٠ قرش